من قيم الإبداع النقدي
عند ابن قتيبة في كتابه
الشعر والشعراء

إعداد
دكتور / جمال عبد النبي محمد حسانين
مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات
الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وكماله، سبحانه وتعالى شرع لنا دينا قويما، وهدانا صراطا مستقيما، ومنحنا العقل تكريما وتكليفا، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وكان بعباده خبيرا لطيفا، ونصلي ونسلم على خاتم رسله وأنبيائه سيدنا "محمد" الذي أوتي جوامع الكلم، عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه، واقتفى أثره أفضل الصلاة وأتم السلام ٠

وبعد

فلعلني لا أكون مغاليا أو مجاوزا الصواب إذا قلت إنه ما من شيء كثر فيه الخلاف، وتعددت فيه الآراء مثل النقد الأدبي، حتى أضحى كثير من الدارسين المحدثين يعيشون وسط كم هائل من قضاياه، تعددت فيها المذاهب، وتنوعت فيها الاتجاهات، كان منها العظيم الفائدة حينا، والقليل الجدوى حينا آخر، وراح بعضهم يصنف هذه القضايا إلى قضايا محلية من نتاج العقل العربي المعاصر تارة، وأخرى عالمية وافدة لمستشرقين أجانب تارة أخرى، في تجاهل صارخ، وتغافل واضح لجهود علمائنا القدامى ممن أفنوا حياتهم في خدمة الأدب وقضاياه إبداعا ونقدا وتصنيفا٠

من هذا المنطلق كان لزاما علينا خدمة للبحث وقضاياه أن نعيد النظر في تراثنا النقدي، وفيما أبدعه علماؤنا الأوائل، وأن نساهم في الكشف عن جهود نقادنا القدامى، وأن نعيد صياغة ما أبدعوه من قيم نقدية بذلوا فيها الجهد والفكر في اعتزاز وأمانة وصدق، وأن نعترف بما كان لهم من إسهامات متميزة في ميدان النقد الأدبي ما زلنا نعيش على هديها إلى اليوم، موقنين بأنه إذا كان النقد قد نما وتشعب واستطالت فروعة فإن جذوره لا تزال ضاربة في أعماق تراثنا القديم " فابن سلام" الذي عاش في القرن الثاني الهجري ١٣٩ هـ يُعدُّ أول من نص على استقلال النقد الأدبي، وأفرد

الناقد بدور خاص حين جعل للشعر صناعة وثقافة يتقنها أهل العلم بها، وهو أول من نقل ميدان الخصومة بين الشعر القديم والحديث وجعلها حول الناقد البصير وغير البصير ٠

والجاحظ الذي عاش في القرن الثاني الهجري أيضا ١٦٠ هـ تمرس بكثير من المشكلات النقدية التي كثرحولها الحديث بعده فتحدث عن الشعر من خلال قضية اللفظ والمعنى، والصراع الناشب بين القديم والحديث، والتمييز بين الصحيح والمنحول ٠

ولما كان من العسير حصر هؤلاء الأفذاذ في بحث واحد اخترت من بينهم واحدا يمثل ما كان من إشعاعات على امتداد القرن الثالث الهجري هو الأديب اللغوي المحدث "ابن قتيبة الدينورى" في كتابه (الشعر والشعراء) هذا الأديب الذي بلغ مكانة علمية مرموقة في هذا القرن، وكان من أبرز الأدباء الذين أولوا النقد اهتماما قائما على النظرة الموضوعية المتأنية للنص الأدبي ٠

وسوف أتناول قيم الإبداع النقدي عنده من خلال النقاط التالية :-

أولا : ابن قتيبة ومؤثرات عصره ٠

ثانيا : المنهج التأليفي لكتابه ٠

ثالثا : أهم القيم النقدية التي أثارها في كتابه ٠

رابعا: ابن قتيبة ماله وما عليه ٠

ثم خاتمة بأهم نتائج البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع ٠

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ٠

أولا : ابن قتيبة ومؤثرات عصره :

ا – نسبه وحياته :

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة[١] "الدينوري " وقيل المروي نسبة إلى مرو بلدة أبيه [٢].

ولد ببغداد في مستهل رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين ٢١٣ هـ للهجرة ٨٢٨ للميلاد وقيل ولد في الكوفة، وقد سكن بغداد وحدث بها عن "ابن راهويه" أبي محمد بن زياد بن عبيد الله " و" أبي حاتم السجستاني" وطبقتهما، وانتقل بعدها إلى " دينور" وتولى قضاءها، ولذا قيل "الدينوري" كما نص على ذلك "محمد بن النديم" حين قال إن "ابن قتيبة" كوفي، وإنما سمي "الدينوري" لأنه كان قاضي الدينور [٣] ثم عاد إلى بغداد وأمضى فيها بقية عمره مشتغلا بالتدريس فتخرج على يديه ابنه " أحمد " وروى عنه "ابن درستويه " الفارسي وجماعة آخرون، ويُعدُّه العلماء إمام مدرسة بغداد النحوية التي خلطت بين مذهب البصريين والكوفيين [٤]

" فابن قتيبة" فارسي الأصل، بغدادي المولد، دينوري الانتساب، وهو ذلك العالم الجليل الذي عرفه القرن الثالث للهجرة واحدا من أشهر أدبائه ومثقفيه، أسهم بشكل واضح وفعال في تلك الحركة الفكرية والثقافية التي شهدها ذلك القرن، بما قدم من علوم ومعارف شملت كثيرا من الجوانب الدينية، واللغوية، والأدبية، والأخلاقية

---

(١) قتيبة : جده، والنسبة إليه قتيبي، وقتبي ٠

(٢) وعلى ذلك فابن قتيبة من أصل فارسي، إذ أن مرو بلدة أبيه هي مرو خراسان، أما نسبته إلى دينور فلأنه تولى بها القضاء لفترة ليست بالطويلة

(٣) الفهرست لابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف، بالوراق جـ ٢ صـ ٨٥ تحقيق رضا علي بن زين العابدين الحائري المازندرابي ط ٢ دار المسيرة ١٩٨٨ م

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري جـ ١ صـ ٦ طبع دار الكتب العلمية بروت لبنان ط ٢ – ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م

قال عنه "ابن حجر" في لسان الميزان إنه كان ثقة دينا فاضلا صدوقا، قليل الرواية، عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه [١] وقال عنه " جورجي زيدان" كان متفننا في العلوم، صادقا فيما يرويه مستقل الفكر، جريئا في قول الحق، وهو أول من تجرأ على النقد الأدبي، ألف في أكثر فنون الأدب المعروفة والباقي من مؤلفاته إلى اليوم حسن وشائع وبعضها من أمهات كتب التاريخ والأدب [٢]

بيئته وثقافته :

شهدت بغداد نهضة علمية زاخرة بأنواع الثقافات المختلفة، من هندية وفارسية ويونانية، كان لها آثارها في فتح آفاق فكرية أمام العقل البشري، فكانت علوم الطب والفلك، والهندسة، والجغرافيا، والتاريخ، إلى جانب اتساع دائرة النشاط في الاهتمام بعلوم الدين، وما اتصل بها من مثل الفقه، والكلام، والتفسير، والحديث النبوي وعلوم اللغة، والنحو، والشعر.[٣]

وكان الكثير من وسائل إغراء الناشئة وطالبي العلم قد توفر في تلك الفترة التي عاشها "ابن قتيبة" فمن مناظرات للعلماء في المساجد، وقصور الخلفاء والوزراء التي كان يختلف إليها الشباب ليتعلم قرع الحجة بالحجة، إلى سهولة تداول الكتب والحصول عليها بعد أن شاع استخدام الورق في الكتابة وكان قبلا يكتب في الجلود والقراطيس المصنوعة من ورق البردي، إلى وجود الرغبة الجارفة لكثير من الشباب في التزود بالعلوم والمعارف المتنوعة التي فتحوا عليها أعينهم، ليجدوا ما لم يكن يعهد من قبل إذ أصبح للكتب دور يقبلون عليها ليلا ونهارا يقيدون وينسخون ما يشاءون .

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة جـ ١ صـ ٣ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥ م

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان مجلد ١ جـ ٢ صـ ٤٨٧ دار الحياة بيروت لبنان ١٩٨٣ م

(٣) الشعر والشعراء صـ ١٤

وكان مما قاله "الجاحظ" في هذا الصدد مبينا سهولة الأخذ من الكتب وسرعة فائدتها وجدواها عن الأخذ من مجالس العلماء، ويختار لذلك مثلا طلاب الفقه فيقول : (وقد تجد الرجل يطلب الآثار – الحديث – وتأويل القرآن، ويجالس الفقهاء خمسين عاما وهو لا يعد فقيها، ولا يجعل قاضيا، فما هو إلا أن ينظر في كتب "أبي حنيفة" وأشباه "أبي حنيفة" ويحفظ كتاب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتى تمر بلبابه فتظن أنه من بعض العمال، وبالأحرى ألا يمر عليه من الأيام إلا اليسير حتى يصير حاكما أي " قاضيا" على مصر من الأمصار، أو بلد من البلدان) [1]

كان هذا هو الجو العام للثقافة في عصر "ابن قتيبة" الذي لم يقتصر بدوره على المعارف الشرعية، والأدبية، واللغوية، ولكنه اشترك في المناقشات الكلامية التي استعر لهبها في عصره، وكان له من حسن الدفاع عن الحديث والقرآن ضد النزعات الفلسفية، ما جعل فريقا من الناس يعدّونه لسان أهل السنة، وحامل لواء الحوار والجدل والمنافحة عنهم، وإن كان كل ذلك لم يعصمه من اتهام قوم له بالزندقة شأن خفافيش كل عصر حيال الأفذاذ النابهين، فصنف كتابا في الرد على المشبهة، يدفع عن نفسه هذه التهمة التي رموه بها[2]

مصنفاته :

كان "ابن قتيبة" كثير التصنيف والتأليف ذا كتب منوعة مرغوب فيها تدل على ثقافة واسعة، وأفق متفتح، وعلم غزير، في علوم ومعارف مختلفة من أهمها :-

أدب الكاتب، كتاب الأشربة، إصلاح الغلط، إعراب القرآن، الأنواء، تأويل مشكل القرآن، تأويل مختلف الحديث، التسوية بين العرب والعجم،

(١) الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون جـ ١ صـ ٦٧ دار الجيل بيروت ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م

(٢) الشعر والشعراء صـ ١٤ ٠

جامع النحو كتاب الخيل، كتاب الإبل، كتاب الاختلاف في الرد على الجهمية والمشبهة، كتاب العلم

كتاب عيون الأخبار، وغريب القرآن، وغريب الحديث، وكتاب العرب وعلومها، وكتاب الفرس ، وكتاب الفقه، والمسائل والجوابات ، وكتاب المعارف وفيه تحدث عن مبدأ الخلق وقصة الطوفان، وكتاب معاني الشعر الكبير، وكتاب الميسر والقداح، وكتاب الإمامة والسياسة، ثم كتاب " الشعر والشعراء " الذي نحن بصدد بحث قيم نقده، ومناقشة قضاياه.

وله كتب كثيرة غير هذه، فقد ذكر له صاحب " الفهرست " أكثر من ثلاثين كتابا [1] والناظر في مؤلفاته يتبين له أن هذا الرجل كان على قدر كبير من الإحاطة بعلوم ومعارف مختلفة في اللغة، والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، والشعر، والفقه والجدل، وكان سنيا يحب أهل السنة، علاوة على أنه كان من أشهر خطبائهم.

كما تدل تلك المؤلفات على تعدد مناحي اهتمامه، فبعضها يمثل العناية بغريب اللغة، وبعضها يتناول النحو، كما أن صنفاً ثالثاً منها مستلهم من عصبيته لأصحاب الحديث، ويمثل الشعر ميداناً رابعاً من تلك الميادين التي استأثرت بجهده، كما تصدى لكثير من الهجمات الشرسة على الإسلام والمسلمين تلك الهجمات التي كانت تحت دعوى الشعوبية البغيضة، وهو فارسي الأصل، يعرف مقاصدها وأغراضها ومراميها فأخذ يوضح افتراءاتها، ويفند مزاعمها، وسلك سبيل "الجاحظ" في الدفاع عن العرب والرد على الشعوبية. وقد اتخذ هذا الرد صورا مباشرة في مثل " كتاب العرب وعلومها" وصورا غير مباشرة في مؤلفات يراد بها إبراز ما لدى العرب من مآثر [2]

---

(١) ينظر الفهرست لابن النديم جـ ٢ صـ ٥٨

(٢) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري د / إحسان عباس ط ٢صـ ١٠٤ دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٩٣

وينحو " ابن قتيبة" منحى آخر في اتخاذ الشعر العربي مصدراً للمعرفة فيكتب في " الأنواء " و" الأشربة " و" الخيل " ليثبت لأنصار الكتب المترجمة أن في الشعر العربي ما يضاهي حكم الفلاسفة، وعلوم العلماء ٠

ولما كان أكثر الشعوبيين أثراً وأبعدهم صوتاً من طبقة الكتاب فقد حاول أن يؤلف لهم كتباً، يقرب إليهم بها المعرفة ويسهل عليهم تناولها، ويجنبهم بها صعوبة الكتب المتخصصة ؛ ولا بأس أن يضع لهم في هذه الكتب شيئاً من حكمة الفرس فذلك أدعى إلى تألفهم، وأقوى أثراً في صرفهم عن الكتب الفارسية الخالصة، فكان من ذلك كتابه "عيون الأخبار" الذي جمع فيه بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى حتى يغلق باب الفتنة أمام من يتعصبون لثقافة دون أخرى، فآداب الفرس ونظم السياسة فيهم، مع حكم العرب وأشعارهم وخطبهم، مع فلسفات الروم، ومعارف الهند كل ذلك في أسلوب سهل يسير بلغة عربية جذابة دفعت إلى الإقبال على هذا الكتاب واحترام المناخ العقلي للعرب، فضلا عما خصهم الله به من نشر الرسالة هداية للناس أجمعين مما كان له أثره في هدم هذه النزعة وما انطوت عليه من افتراءات وأحقاد [١]

وفاته :

توفى "ابن قتيبة" سنة سبعين ومائتين ٢٧٠ من الهجرة ٨٨٤ من الميلاد، وقيل سنة إحدى وسبعين ومائتين، وقيل في منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين من الهجرة ٨٨٩ من الميلاد قال "ابن خلكان" والأخير أصح الأقوال وكانت وفاته فجأة صاح صيحة سمعت من بعيد، ثم أغمي عليه ومات رحمه الله رحمة واسعة [٢]٠

(١) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / إحسان عباس صـ ١٠٥

(٢) الفهرست لابن النديم جـ ٢ صـ ٨٥

ثانيا : <u>المنهج التأليفي للكتاب</u>٠

كشف "ابن قتيبة" عن منهجه الذي اختطه في تأليف كتابه ؛ لينير السبيل لقارئه منذ الوهلة الأولى ٠

فكان بتسميته **" الشعر والشعراء "** من الكتب التي تنبئ عناوينها عن مضامينها ففيه فعلا حديث عن الشعر أتى في مقدمة الكتاب، ثم تبع الحديث عن الشعر حديث آخر عن الشعراء، نال الحظ الأوفر من اهتمام مؤلفه، وأخذ القسط الأكبر من الكتاب ٠

فأما الجزء الخاص بالحديث عن <u>الشعر</u> وإن كان قليلا في حجمه إلا أنه أورد فيه قيما نقدية لا يستهان بها، سواء أكانت متعلقة بوضع حد حاسم لما أختلف عليه النقاد أم كانت مفسرة لظواهر متعلقة بالبناء الهيكلي للقصيدة، والتي حرص عليها الشعراء منذ العصر الجاهلي وحتى عصره، فضلا عن تقسيم ضروب الشعر والكلام في مسائل أدبية عامة ظهر فيها أثر الروح العلمي المتمثل في الحصر والتحديد ٠

وأما الجزء الخاص بالحديث عن <u>الشعراء</u> فقد تضمن كما هائلا من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين تعرض فيه لذكر المشهورين منهم إلى أوائل القرن الثالث الهجري، فذكر الشاعر مكتفيا ببيان نسبه وزمنه وقبيلته ومنزلته وصلة شعره بحياته، والحسن من أخباره، والجيد من قوله، وما أخذ عليه العلماء من الخطأ في الألفاظ والمعاني، والمعني الذي ابتدعه، والمعنى الذي أخذه عن غيره، ذاكرا نماذج له من الشعر، مترجما على هذا النحو لمائتين وأربعة من الشعراء، ولاثنتين من الشاعرات هما "الخنساء بنت عمرو بن الشريد" و" ليلى الأخيلية" دون وضعهم في طبقات، أو الاهتمام بذكر ما ينفرد به كل شاعر من خصائص فنية أو أسلوبية، ودون محاولة للربط بين ما أثاره من قضايا شعرية وبين من ترجم لهم من الشعراء [١]

---

(١) ينظر اشراقات من تراثنا الأنبي د / محمد كريم أحمد صـ ٧٢ طبع مكتب الرسالة القاهرة د / ت . و تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري أ / طه أحمد إبراهيم صـ ١٢٨ دار الحكمة بيروت لبنان د / ت

وحرصا منه على رصد المنهج الذي اتبعه وسار عليه، تحدث عن مضمون كتابه في مقدمته قائلا : (هذا كتاب ألفته في الشعر، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته عليه العلماء من الغلط والخطأ في ألفاظهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول) (١)

ويحرص "ابن قتيبة" على ذكر نوعية الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب والنحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ فيقول (فأما من خفي اسمه، وقل ذكره وكسد شعره فما أقل من هذه الطبقة إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل، ولا أعرف لذلك القليل أخبارا) (٢)

وتقديرا لقراء كتابه واحتراما لمشاعرهم لا يرضى أن يقدم إليهم أحدا من الشعراء دون أن يقفهم على خبره، وزمنه، ونسبه، وشهرته التي شهر بها بنادرة أو قول، أو مثل، أو بيت يستجاد له، أو غير ذلك فيقول : (وإن كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمي لك أسماء لا أدل عليها بخبر، أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجاد أو يستغرب) (٣)

ثم ينفي عن نفسه تهمة قد يلصقها به المغرضون وهي أنه لم يتمكن من حصر الشعراء الذين وجدوا في عصورهم ممن ترجم لهم فيقول : (ولعلك تظن رحمك الله أنه يجب على من ألف كتابا مثل كتابنا هذا ألا يدع شاعرا قديما ولا حديثا إلا ذكره ودلك عليه، أو تقدر أن يكون الشعراء بمنزلة رواة الأحاديث والأخبار والملوك والأشراف

(١) الشعر والشعراء صـ ١٦
(٢) السابق صـ ١٧
(٣) السابق صـ ١٧، ١٨

الذين يبلغهم الإحصاء، ويجمعهم العدد .....) [١]

ويسجل "ابن قتيبة" على نفسه في مقدمة كتابه ما قد يظنه القارئ قصورا منه حيث إنه لم يتكلم عن أهمية الشعر في عصوره الأولى، وكيف أنه كان يرفع من شأن أقوام، ويضع من شأن آخرين[٢] وما كان يتضمنه من حكم تدفع إلى المكرمات ٠٠٠ فيقول : (وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر، وعن من رفع بالمديح، وعن من وضع بالهجاء، وعما أودعته العرب من الأخبار النابهة والأحساب الصحاح، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة والعلوم في الخيل، وفي النجوم وأنوائها[٣]

---

(١) الشعر والشعراء صـ ١٦

(٢) ضمن "ابن رشيق" كتابه "العمدة" بابا تحت عنوان "باب من رفعه الشعر ومن وضعه" جاء فيه (إنما قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل) وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مدح به، مثل ما يضع من قدر الشريف إذا اتخذه مكسبا كالذي يؤثر من اشتهار عرابة الأوسي بشعر "الشماخ بن ضرار"وقد بذل له في سنة شديدة وسق بعير تمرا فقال فيه :-

رأيتُ عَرابة الأوسيِّ يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما رايةُ رُفعت لمجد تلقَّاها عَرابة باليمين

حتى صار ذلك مثلا سائرا، وأثرا باقيا لا تبلى جدته ولا تتغير بهجته وقدح ذلك في مروءة الشماخ،وحط من قدره ، أما من صنع الشعر فصاحة ولسنا وافتخارا بنفسه وحسبه وتخليدا لمآثر قومه ولم يصنعه رغبة ولا رهبة فهو واحد دهرنا وسيد

كتاب عصرنا "أبو الحسن " أحسن الله إليه ، وإلينا فيه، إذ يقول :-

وجدت طريق البأس أسهلَ مسلكا وأحرى بنُجْح من طريق المطامع

فلستُ بمُطْرٍ ما حييت أخا نَدى ولا أنا في عرض البخيل بواقع

فلا نقص عليه في ذلك بل هو زائد في أدبه وشهادة بفضله ٠ العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني جـ ١ صـ ٣٤، ٤٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد طبع دار الطلائع للنشر والتوزيع د / ت

(٣) الأنواء : جمع نوء وهو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق

والاهتداء بها، والرياح وما كان منها مبشرا أو حائلا، أو البرق وما كان منها جهاما[1] أو ما طرا، وعما يبعث البخيل منها على السماح، والدنئ على السمو والجبان على اللقاء، غير أني رأيت ما ذكرت منها من ذلك في كتاب "العرب" كثيرا كافيا، فكرهت الإطالة بإعادته فمن أحب أن يعرف ذلك ليستدل به على حلو الشعر ومره، وعظيم نفعه وضره، نظر في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى) [2]

ثالثا : أهم القيم النقدية التي أثارها الكتاب ٠

١ - السرقات الشعرية٠

طرق النقاد القدماء موضوعا هاما، بذلوا في جهدا واسعا اصطلح على تسميته "بالسرقات الشعرية " إذ تابعوا الإنتاج الشعري لعدد غير قليل من الشعراء ليقفوا على مدى أصالتهم وجدتهم، أو وقوعهم في أسر الانتحال والسطو ٠

وموضوع السرقات من أهم الموضوعات التي أولاها نقاد الأدب كثيرا من عنايتهم وخصوها بمزيد من اهتمامهم [3] وكان من أبرز الموضوعات التي عالجها النقد العربي في قديمه وحديثه، إذ كان من

---

(١) الجهام : السحاب لا مطر فيه

(٢) الشعر والشعراء صـ ١٧

(٣) لعل الفرزدق ١١٤ هـ هو أول من أثار هذا الاهتمام بسبب ما كان يقوم به من أخذ صريح، أو تأثر بشعر لم ينجح في إخفائه، حتى لقد أقيمت له ذات مرة شبه محاكمة فقد ذكر الرواة أنه حوكم في واحدة من سرقاته أمام "محمد بن رباط" وقد اعترف الفرزدق وأعاد إلى الرجل قصيدة عمه " الأعلم " وقال : " أشهدكم أني قد رددتها "

ولذلك تتبعه علماء البصرة مثل "أبي عمرو بن العلاء" الذي قال : "لقيت الفرزدق في المربد، فقلت : يا أبا فراس أحدثت شيئا ؟ قال : خذ ! ثم أنشدني : –

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

فقلت : سبحان الله ! هذا للمتلمس، فقال : اكتمها ! فلضوال الشعر، أحب إلي من ضوال الإبل " الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني صـ ١٤٦ تحقيق ا / علي محمد البجاوي دار الفكر العربي د /ت

الأهداف النقدية الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة لأصحابها، ومقدار ما حوت من الجدة والابتكار، ومبلغ ما يدين به أصحابها لسابقيهم من الأدباء من التقليد والاتباع (١)

وقد بدأ اهتمام النقاد بالسرقات منذ مطلع القرن الثالث الهجري وحتى يومنا هذا ؛ لأنها تدفع الشعراء إلى التجديد والتجويد، ومحاولة إيجاد شخصية متميزة في ميدان الإبداع الأدبي من ناحية، وبيان أن السطو على نتاج الغير أكبر مثلبة، وأعظم منقصة يوصف بها الأديب من ناحية أخرى، لذا وجدنا جماعة من الشعراء يتنصلون من ذلك العيب جهد استطاعتهم، ويبرءون أنفسهم من رميهم بتلك التهمة التي تشين أدبهم، وتحقر أعمالهم، وتجعلهم في غمار المتطفلين فكان " طرفة بن العبد" وهو جاهلي قديم أول من ذم السرقة في قوله (٢)

ولا أغيرُ على الأشْعار أسْرقُها عنْها غَنيتُ وشرُّ النَّاسِ منْ سِرقا

وكان "حسان بن ثابت" يردد :- (٣)

لا أسرق الشعراء ما نطقوا به بل لا يوافق شعرهم شعري

فأفاد فائدتين : الأولى براءته من مذمة السرقة، والثانية أن شعره يمتاز عن شعر غيره بمخالفته إياه، وعدم موافقته له ٠

كما رأينا الشعراء يقفون لبعضهم بالمرصاد، إذا ما اشتم أحدهم سرقة غيره له كما ادعى "الفرزدق" على "جرير" السرقة وذمه بسببها، في قوله :- (٤)

---

(١) ينظر مقدمة كتاب السرقات الأدبية د / بدوي طبانة نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٨٦.

(٢) ديوان طرفة بن العبد البكري شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري صـ ١٧٤ ت / د إحسان عباس ط ١ دار الفكر العربي بيروت لبنان ١٩٩٣م

(٣) ديوان حسان بن ثابت شرح وتقديم ا / عبدا مهنا صـ ١٠٦ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م

(٤) يعتبر كثير من النقاد ما كان بين جرير والفرزدق من قبيل الملاحاة والمناوشة الكلامية لا من قبيل السرقة، حيث ادعى كل منهما على صاحبه أنه أخذ منه

إن استراقك يا جرير قصائدي مثل ادعاك سوى أبيك تنقل

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فتراشقوا بسهام الهجاء بسبب هذه السرقات من ذلك ما هجا به "ابن الرومي" أبا عبادة البحتري" مدعيا عليه بالسرقة في قوله :- (١)

عبد يغير على الموتى فيسلبهم حُر الكلام بجيش غير ذي لجب
ما إن تزال تراه لا بسا حللا أسلاب قوم مضوا في سالف الحقب
شعر يغير عليه باسلا بطلا فينشد الناس إياه على رقب

قضية السرقات عند ابن قتيبة ٠

يعد ابن "قتيبة" واحدا من العلماء الذين تتوفر فيهم صفات الناقد الحق وملامحه الأصيلة، التي تؤهله لتبوأ منصب القضاء، والحكم على الشعراء ؛ لما له من سعة معرفة بالأدب وفنونه، وإطلاع واسع على التراث الأدبي في سائر عصوره وإحاطة عميقة بالتراث الشعري، وحفظ كم كبير للمشهورين والمغمورين من الشعراء على حد سواء، فضلا عن رجوعه للأعراب لتوثيق ما لديه، وطلب المزيد منهم، مما سهل عليه معرفة السابق من اللاحق، لذا كان أهلا لهذه المنزلة، ففي حديثه عن الشعراء كان إذا وجد شاعرا سُبق إلى ما قاله في شعره علق عليه بقوله: أخذ عن فلان فكان أهلا لهذه المنزلة، ففي ترجمته "لأبي دؤاد الإيادي" قال:ومما سَبق إليه فأُخذ عنه قوله:- (٢)

ترى جارنا آمنا وسطنا يروح بعقد وثيق السبب (٣)
إذا ما عقدنا له ذمة شددنا النعاج وعقد الكرب (٤)

---

(١) ديوان ابن الرومي شرح الأستاذ أحمد حسن بسج جـ ١ صـ ١٨٠ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٥١ هـ ١٩٩٤ م

(٢) الشعر والشعراء صـ ١٤٢

(٣) السبب : الحبل

(٤) النعاج : عروة في أسفل الدلو من داخله تشد بوثاق إلى أعلى الكرب فإذاانقطع الحبل أمسك النعاج الدلو أن يقع في البئر .
والكرب : الحبل الذي يشد على الدلو بعد المتين، والمتين : هو الحبل الأول، فإذا انقطع المتين بقي الكرب.

أخذه "الحطيئة " فقال :- [١]

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا النعاج وشدوا فوقه الكربا

وفي حديثه عن "حاتم الطائي" قال : ومما سبق إليه فأخذ عنه قوله :- [٢]

إذا كان بعض المال ربا لأهله فـــــــمالي بحمد الله رب معبد

أخذه "حطايط بن يعفر" فقال :- [٣]

ذريني أكن للمال ربا ولا يكن لي المال ربـا تحمدي غبه غدا[٤]

أريني جوادا مات هزلا لعلني أرى مـا تـرين أو بخيـلا مخلـدا

وفي حديثه عن "الراعي النميري" قال : ومما سبق إليه قوله :- [٥]

كأن العيون المرسلات عشيـة شآبيب دمــع لم تجـد مترددا [٦]

مزايد خـرقاء اليـدين مسيفة أخـب بـها المخـلفان وأحفـدا [٧]

أخذه " الطرماح بن حكيم " فقال :- [٨]

كأن العيون المرسلات عشية شآبيب دمع العبرة المتحانن [٩]

---

(١) ديوان الحطيئة شرح د / يوسف عيد صـ ٢٥ ط ١ دار الجيل بيروت لبنان ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م .

(٢) ديوان حاتم الطائي شرح وتقديم ١ / أحمد رشاد صـ ١٤ ط ١ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

(٣) الشعر والشعراء صـ ٤١

(٤) ربا : مالكا، والغب : العاقبة

(٥) الشعر والشعراء صـ ٢٦٥، وديوان الراعي النميري شرح د / واضح الصمد صـ ٢٥ ط ١ دار الجيل بيروت لبنان ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥ م .

(٦) الشآبيب : جمع شؤبوب وهو الدفقة من المطر.

(٧) مزايد : جمع مزادة وهي القربة التي يجعل فيها الماء، وخرقاء اليدين : لاتحسن عملا، ومسيفة : ذهب مالها من

السواف، وهو داء يأخذ الإبل فيهلكها، والمخلفان : الليل والنهار، وأحفدا : أسرعا

(٨) الشعر والشعراء صـ ٢٦٥

(٩) المتحانن : المتتابع

مزايد خرقـــاء اليدين مسيـفة أخب بها مستخلف غير آين [1]

والقارئ لكتاب الشعر والشعراء يجد نماذج كثيرة من هذا النوع مما يدل على اطلاعه الواسع، وثقافته الغنية في ميدان التراث الأدبي، ووقوفه على النتاج المعاصر له أيضا، مما مكنه من معرفة الأشعار المتقدمة والأشعار المعاصرة ٠

وإذا كان بعض النقاد الذين أتوا بعده قد قسموا هذه السرقات إلى أنواع [2] ووضعوا لكل نوع منها مسمى خاصاً فإن ابن "قتيبة" له فضل السبق في هذا الاتجاه النقدي، ويبقى شيء آخر تجدر ملاحظته، وهو على جانب كبير من الأهمية هو أن "ابن قتيبة" لا يستعمل لفظ السرقة الموحي بالاتهام والتجريم في الشعراء الإسلاميين ومن قبلهم، ولم يجار معاصريه في هذا الاستخدام الذي أكثروا منه في نقد المحدثين وهذه مأثرة تحسب له أولا، وقد يكون في صده عن هذا الاصطلاح من حكمة ثانيا، فقد كان كما قال الخطيب (صادقا فيما يرويه ثقة دينا فاضلا) [3].

٢ - رؤية ابن قتيبة للشاعر ٠

ما سمي الشاعر شاعرا إلا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، وهو صاحب صناعة وثقافة وطبع ودربة، ومقدرة على توليد المعاني واختراعها، وابتداع الألفاظ واشتقاقها، والزيادة فيما قل فيه غيره، والنقص

(١) يخب : من الخبب، وهو ضرب من العدو السريع، وآين : من الأين، وهو الإعياء والتعب، والمستخلف : الذي يطلب السقاء

(٢) من هؤلاء ابن رشيق في كتابه "العمدة" فقد قسمها إلى أنواع منها : الانتحال، والإغارة، والغصب، والسلب والمرافدة، والاهتدام، والإلمام، والاختلاس، وغيرها، ينظر العمدة لابن رشيق جـ ٢ صـ ٢٤٥ وما بعدها ٠

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة صـ ٤

فيما أطال فيه سواه، وتصريف المعاني عن وجوهها إلى وجوه أخر، وإلا لكان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة [١]

وعليه أن يتحلى بآداب وصفات يكون بها حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطئ الأكناف، شريف النفس لطيف الحس، عزوف الهمة، أنفا، سمح اليدين[٢] ، فإن ذلك مما يحببه إلى الناس ويزينه في عيونهم، ويقربه من قلوبهم [٣]

---

(١) العمدة لابن رشيق جـ ١ صـ ١٠٠

(٢) هذا كله فضلا عن صعوبة عمل الشعر على الحاذق، وقد قيل " عمل الشعر على به أشد من نقل الصخر، والشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل، أهول ما يكون على العالم، وأتعب أصحابه قلبا من عرفه حق معرفته، لذا قال الحطيئة مصرحا بصعوبة عمله :-

الشعر صعب وطويل سلمه والشعر لا يستطيعه من يظلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

العمدة لابن رشيق جـ ١ صـ ٩٩، ١٠٠ .

ويقول " إبراهيم عبد القادر المازني " كاشفا عما يعانيه المبدع من عذابات وما يلاقيه في سبيل فنه من مشقات :-

لنا الله من قوم نذيب نفوسنا ويجني سوانا ما نشور ويقطف
ويصدر عنا الناس ريا قلوبهم ونحن عطاشا بينهم نتلهف

ثم يرى أنه خاطر لا يزال يجيش بصدر صاحبه حتى يجد مخرجا ويصيب متنفسا فيقول :-

وما الشعر إلا صرخة طال حبسها يرن صداها في القلوب الكواتم
وتطلعه فجرا على الناس واضحا يريهم سبيل الحق بادي المعالم

ديوان المازني صـ ١٦٩، ١٧٠، المجلس الأعلى للفنون والآداب ١٩٦١ م

(٣) العمدة جـ ١ صـ ١٦٥

لهذا ولغيره رأى "ابن قتيبة" أن لقب الشاعر ليس لقبا هينا، وليس من السهولة بمكان أن يطلق على كل من نظم شعرا ؛ لأنه – كما يرى – يندر أن يتمتع إنسان بقدر من الأدب، وحظ من الطبع ولم يقل شعرا ؛ لذا فإن لقب الشاعر لا يستحقه إلا من غلبت عليه صفة الشعر، دون أي صفة أخرى ٠

ومن هذا المنطلق أنكر "ابن قتيبة" على من ألفوا كتابا مثل كتابه – الشعر والشعراء – وترجموا لمن لم تغلب عليهم صفة الشعر، وفي هذا المجال يقول :-

(ولم أعرض في كتابي هذا إلا من كان الأغلب عليه الشعر، فقد رأيت من ألف في هذا الفن كتابا يذكر من الشعراء من لم يعرف بالشعر، ولم يقل منه غير النبذ اليسيرة " كابن شبرمة القاضي، وسليمان بن قتة المحدث) [١]

ثم يذكر الأسس التي بنى عليها اختياره للشعراء بأن يكون من المشهورين بالشعر معروفا لدى أهل الأدب، ممن يحتج بشعره في الغريب، والنحو، وكتاب الله ﷻ ، وحديث رسوله ﷺ قد عرف اسمه، وراج شعره، أما من خفي اسمه، وقل ذكره، وكسد شعره، وكان مغمورا لا يعرف إلا عند بعض الخواص فلم يذكر منهم إلا القليل، متحاشيا أن يذكر لقارئه بعض الأسماء التي لا يدل عليها بخبر أو نسب أو زمان أو غير ذلك فيقول :(وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله ﷺ فأما من خفي اسمه، وقل ذكره وكسد شعره فما أقل من هذه الطبقة إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل، ولا أعرف لذلك القليل أخبارا) [٢]

ويضيف مبينا العلة في اقتصاره على هؤلاء المشهورين بقوله(ولو قصدنا لذكر أمثال هؤلاء في الشعر لذكرنا أكثر الناس ؛ لأنه قل أحد به أدنى

(١) الشعر والشعراء صـ ١٨

(٢) السابق صـ ١٨

مسكة من أدب، وأدنى حظ من طبع إلا وقد قال من الشعر شيئا، ولا حتجنا أن نذكر صحابة رسول الله ﷺ وقوما كثيرا من حملة العلم ومن الخلفاء والأشراف ونجعلهم في طبقات الشعراء) [1]

ثم يدفع ما تبقى من وهم قد يراود قارئ كتابه من أنه بعنوان كتابه " الشعر والشعراء"يجب عليه أن يعرض لكل شعر، ولكل شاعر، فيقول :

(ولعلك تظن رحمك الله أنه يجب على من ألف كتابا مثل كتابنا هذا ألا يدع شاعرا قديما ولا حديثا إلا ذكره ودلك عليه، أو تقدر أن يكون الشعراء بمنزلة رواة الأحاديث والأخبار والملوك والأشراف الذين يبلغهم الإحصاء، ويجمعهم العدد والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط، أو يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال، ولا أحسب أحد من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعرا إلا عرفه، ولا قصيدة إلا رواها) [2]

ثم يسوق دليلا يؤيد به صدق حجته، وصحة منطقه على مدى العجز عن الإلمام بشعر قبيلة واحدة من القبائل، ناهيك عن إحصاء أسماء شعرائها، فيقول (حدثني سهل بن محمد عن " الأصمعي" عن " كردين بن مسمع " قال : جاء فتيان إلى " أبي ضمضم" بعد العشاء، فقال لهم : ما جاء بكم يا خبثاء ؟ قالوا جئناك نتحدث، قال : كذبتم ! ولكن قلتم كبر الشيخ فنتبلغه [3] عسى أن نأخذ عليه سقطة! فأنشدهم لمائة شاعر، وقيل لثمانين شاعرا كلهم اسمه " عمرو" قال " الأصمعي " فعددت أنا " وخلف الأحمر"

(١) السابق صـ ١٩
(٢) الشعر والشعراء صـ ١٨
(٣) يقال تبلغته السن : أي أجهدته

فلم نقدر على ثلاثين! هذا إلى من سقط شعره من شعراء القبائل، ولم يحمله إلينا العلماء والنقلة) [١]

٣ - رؤيته لقديم الشعر وجديده ٠

من القضايا النقدية التي برزت في عهد "بن قتيبة "وكان له فيها رأي جريء تلك الخصومة بين القدماء والمحدثين [٢]

فقد وجد جماعة من الرواة المعنيين بالشعر للاستشهاد به في علوم اللغة والتفسير والحديث من تعصبوا للشعر الجاهلي والإسلامي دون غيره من الشعر فصرفوا أنظارهم عنه، ولم يعبئوا بما فيه من تراكيب لغوية، وأسرار بيانية، يمكن الاستشهاد بها في مجال اللغة، والتفسير، مع أنهم قد يطربون لشعر محدث لم يعرفوا قائله، ولا الزمن الذي قيل فيه، وإذا ما عرفوا ذلك أنكروا استحسانهم له، وضنوا بالإشادة به، والثناء عليه، وأخذوا يوجهون إليه سهام الطعن والتجريح، دون توخ لجانب من حقيقة، أو تقدير لنظرة من إنصاف ٠

من ذلك (أن "إسحاق الموصلي" أنشد "الأصمعي" بيتين هما :-

هل إلى نظرة إليك سبيل فيروى الصدى ويشفى الغليل
إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل

(١) الشعر والشعراء صـ ١٨

(٢) القدماء هم أنصار الشعر الجاهلي والإسلامي إلى نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني أي ما بعد جرير والفرزدق بقليل حوالي سنة ١١٠ هـ أما المحدثون فهم من أتوا بعدهم وأنصارهم : بشار بن برد، ومروان بن أبي حفصة ومطيع بن إياس، والعتابي، ومنصور النمري، وأبو نواس، ومسلم بن الوليد، وأبن المعتز، وابن الرومي، وأبو تمام والبحتري، والمتنبي، والمعري .

فقال الأصمعي : لمن تنشدني ؟ فقال لبعض الأعراب، فقال : هذا والله هو الديباج الخسرواني، قال إسحاق : إنهما لليلتهما، فرد عليه "الأصمعي" بقوله : لا جرم والله إن أثر الصنعة والتكلف باد عليهما) [١]

ومن ذلك أيضا (أن "ابن الأعرابي " كان عنيفا في نقده للجديد متحاملا عليه متعصبا للقديم، مناصرا له، أنشده رجل شعرا "لأبي نواس " فسكت فسأله الرجل : أما هذا من أحسن الشعر ؟ قال : بلى، ولكن القديم أحب إلي) [٢]

وقرأ أحدهم عليه مرة أرجوزة على أنها من أشعار "هذيل" فأعجب بها وقال : اكتب هذه، وبعد أن كتبها سأله:أحسنة هي ؟ فقال ابن الأعرابي: ما سمعت أحسن منها ولما قال له إنها " لأبي تمام " قال خرِّق خرِّق [٣] وما ذلك إلا لأنه أحد المحدثين.

وقد بلغ رفض "ابن الأعرابي " للشعر المحدث أو المولد مداه، عندما وصفه قائلا (إنما أشعار المولدين مثل "أبي نواس" وغيره مثل الريحان يشم يوما ويزوى فيرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا) [٤]

ويهاجم " خلف الأحمر" ابن مناذر" باعتباره شاعرا محدثا، ويبالغ في هجومه لما سأله الرأي في شعره أثناء مأدبة حضرها الأصمعي (قال ابن مناذر : ياأبا محرز " خلف " أن يكن "امرؤ القيس، والنابغة، وزهير"

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحقيق ا/ السيد أحمد صقر صـ ٢٣ دار المعارف ١٩٦٥م .

(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء صـ ٤٤٦

(٣) أخبار أبي تمام للصولي تحقيق ا / خليل عساكر صـ ١٧٥، ١٧٦ المكتبة التجارية للطبع والنشر بيروت ١٩٣٧ م

(٤) المرشح للمرزباني صـ ٣٨٤

ماتوا فأشعارهم مخلدة، فقس شعري إلى شعرهم، قال الأصمعي : فأخذ صفحة مملوءة مرقا فرمى بها عليه) (١)

فهذه النماذج وغيرها تمثل موقفا من الشعر المحدث يبدو منه التعصب البغيض والرفض الممقوت، لأسباب غير واضحة، ومواقف غير معلومة، وكأنما صار هذا الإنكار ضربا مفروضا على من يريد الشهرة في ميدان الرواية، أو الوصف بالدقة في ميدان الاستشهادات ٠

من هنا نشأت هذه الخصومة وكان التيار الجارف، والغلبة فيها لمصلحة الأقدمين، فشعرهم شعر القوة والجزالة، شعر الفطرة والطبع، شعر السليقة والوضوح أما المحدثون فشعرهم على العكس من ذلك كله، وكان اللغويون والنحويون في مقدمة المتعصبين للشعر القديم ؛ لأنه كان العنصر البارز في ثقافتهم، بل كان هو الأساس في تكوين شخصيتهم العلمية والأدبية، كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء الأعراب من البادية، وكانوا مشغولين بجمع الشعر الجاهلي والإسلامي فحفظوه وألفوه، وأثر ذلك في أذواقهم، فلم يحفلوا كثيرا بشعر المحدثين (٢)

ولم يكن تعصب الرواة واللغويين للشعر القديم ضد الشعر المحدث قائما على أصل من أصول النقد الأدبي، ولم يكن لأسباب فنية واضحة، وإلا لما رأينا رجلا "كأبي عمرو بن العلاء " يفضل الشعر الجاهلي لمجرد سبقه وأقدميته وصلاحيته من أجل ذلك للاستشهاد به، ولذلك أقام الموازنة بين القدماء والمحدثين على العصر لا على الشعر فقال (لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا، وحدث الأصمعي عنه قال : جلست إلى " أبي عمرو بن العلاء" عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي،

(١) السابق صـ ٤٥٣

(٢) ينظر النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني تحقيق ا/ عبده عبد العزيز قلقيلة جـ ١ صـ ٦٧ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦ م

وقال مرة لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت أن آمر فتياننا بروايته يعني شعر "جرير والفرزدق" وأشباههما) [١]

وبقي الحال على ما هو عليه حتى وجدنا بعضا ممن اتصفوا بتحري الدقة لاطلاعهم الواسع في فروع الثقافات المختلفة، لم يتمكنوا من الثورة على هذا التعصب الذميم، والدعوة إلى نبذه نبذا صريحا " كالجاحظ " الذي رأيناه يفضل الجاهليين والعرب والأعراب على المولدين والمحدثين، مع اعترافه بأنه قد ينبغ من بين المحدثين من يقف أمام القدماء، أو يبزهم في بعض المعاني، وإن كان ذلك نادرا قليلا ٠

وظل الأمر كذلك إلى أن جاء " ابن قتيبة " فرفض هذا التعصب البغيض وأنكر هذا التحيز الممقوت ومزق هذا الثوب الجائر بسلاح من العدل والإنصاف بعد أن عانت منه الساحة الأدبية وقتا ليس بالقليل فليس هناك في رأيه فضل للقدامى لأنهم قدامى، ولا نقص للمحدثين لأنهم محدثون، وإنما الفيصل بين هذا وذاك ما يخلعه المبدع على عمله الشعري من قيم فنية وتعبيرية ترقى به نحو الريادة والتفوق، أو تهوى به نحو الإسفاف والابتذال وفي ذلك يقول : (ولا نظرت إلى المتقدم منهم بين الجلال لتقدمه ولا المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين، وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه) [٢]

تلك هي نظرته التي راعى فيها وجه العدالة، وسلك فيها سبيل الإنصاف مبينا أسرار هذه النظرة ودوافعها التي بنى عليها حجته حين قال (فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه

(١) العمدة لابن رشيق جـ ١ صـ ٧٨، ٧٩

(٢) الشعر والشعراء صـ ١٩

موضع متخيره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، ورأى قائله) [١]

ثم يؤكد ما ذهب إليه مستمدا موقفه من باعث ديني قوي، إذ الجودة والبلاغة منحة من الله، وموهبة فطرية ركبها في طباع من يشاء من خلقه، وهي قاسم مشترك بين جميع البشر، وفي سائر الأماكن والأزمان، معتمدا في موقفه على قوة الحجة وسلامة المنطق، ووضوح البرهان، في إخلاص للبحث العلمي، دون ميل أو هوى أو جنوح نحو غاية، فما يعد حديثا بالنسبة لجيل ما، سرعان ما يعد قديما بالنسبة لأجيال أخرى، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يظل مصطلح القدم والحداثة قائما ما دامت عجلة الزمان دائرة تتخلى عن أقوام لتستقبل أقواما آخرين ٠٠٠٠ ولذا يقول (ولم يقصر الله الشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديث في عصره، وكل شرف خارجية[٢] في أوله) [٣] ثم يضرب المثل على تغاير أطوار القدم والحداثة بقوله (فقد كان جرير والفرزدق والأخطل، وأمثالهم يعدون محدثين وكان " أبو عمرو بن العلاء " يقول لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا[٤] ببعد العهد منهم،

---

(١) السابق صـ ١٩

(٢) خارجية : من يسود بنفسه من غير أن يكون له قديم

(٣) الشعر والشعراء صـ ١٩

(٤) مما يؤكد كلام ابن قتيبة في هذا الصدد قول الإمام علي ﷺ " لولا أن الكلام يعاد لنفد " فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد وإنما السبق والشرف معا في المعنى، وقول عنترة :-

هل غادر الشعراء من مُتردَّم .....

يدل على أنه يعد نفسه محدثا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه، ولم يغادروا له شيئا، وقد أتى في هذه القصيدة نفسها بما لم يسبقه إليه متقدم ولا نازعه إياه متأخر، وعلى هذا جاء قول أبي تمام :-

فلو كان يَفْنَي الشعر أفناه ما قرت حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبتْ بسحائب

العمدة جـ ١ صـ ٧٩ ٠

وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا " كالخريمي، والعتابي، والحسن بن هانئ" وأشباههم) [١]

ثم يضع القول الفصل، فيقول (فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا عليه به، ولم يضعه عندنا تأخر قائله، ولا حداثة سنه، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه) [٢]

هكذا كانت رؤية "ابن قتيبة" لتلك الخصومة التي أثيرت في شأن القدماء والمحدثين، فلم يقف منهم من ناحية المذهب الشعري وشرحه[٣] وتفضيل أحد المذهبين
على الآخر ولم يركن إلى فريق دون آخر، ولم ينظر إلى الكم الشعري هنا أو هناك ولم تأخذه العصبية للقديم بل بات منصفا للمحدثين في عصره وفي كل عصر ٠

(١) الشعر والشعراء صـ ١٩

(٢) السابق صـ ١٩

(٣) مثلما فعل ابن رشيق حيث قال : إنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين : ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن ٠

وقال "أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع" وقد ذكر أشعار المولدين : إنما تروى لعذوبة ألفاظها، ورقتها، وحلاوة معانيها، وقرب مأخذها، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم، ووصف المهامة والقفار، وذكر الوحوش والحشرات ما رويت لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني، ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه، وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام ٠ العمدة جـ ١ صـ ٧٩، ٨٠

٤ - الهيكل التراثي للقصيدة العربية ٠

ما كاد "ابن قتيبة" يقطع بحكمه في رؤيته لقديم الشعر وجديده، وما كاد يضع قوله الفصل بين القدماء والمحدثين، حتى نشبت خصومة جديدة بين المحافظين على النظام الموروث للقصيدة العربية [١] وبين المجددين الذين ثاروا على هذا النظام ٠

وتنحصر هذه الخصومة في أن الشعراء القدامى التزموا نهجا معينا في بناء قصائدهم، عرف هذا الالتزام منذ العصر الجاهلي، فكانت القصيدة تبدأ بذكر الأطلال ثم تتجه إلى الحديث عن المرأة والتغزل بها، ثم إلى وصف الرحلة والراحلة، وما لاقاه الشاعر من مشاق الطريق، وأهوال الصحراء، ثم ينتقل إلى الغرض الذي من أجله نظم القصيدة، ثم يختمها الشاعر ببعض أبيات من الحكمة ٠

(١) نشبت هذه الخصومة بعد الاستقرار الاجتماعي والسياسي ولاقتصادي للدولة في نهاية القرن الأول الهجري، وبداية القرن الثاني وقد تمثلت في التعرف على فكر جديد بسبب الاختلاط، ثم الاندماج في الشعوب غير العربية، وبسبب نقل تراث تلك الشعوب إلى اللغة العربية، وكان من الطبيعي أن تظهر طائفتان متمايزتان شأن كل مجتمع متحضر وهما : طائفة المحافظين التي التزمت جانب الحذر أمام التيار الجديد ؛ لاعتقادها في ضرورة الحفاظ على القيم القديمة، والأصول العريقة في شتى النواحي، ومنها تقاليد الشعر العربي، والطائفة الأخرى هي : طائفة المحدثين الذين مالوا إلى تطوير الفكر العربي ليتناسب مع أسلوب الحياة الجديدة، وقد تأثر بأسلوب هذه الطائفة بعض الشعراء والنقاد تأثرا كان له أثره في النتاج الشعري بوجه خاص ينظر التطور والتجديد في الشعر الأموي د / شوقي ضيف صـ ١٩٢، ٢٥٥، ٢٧٢ ٠ ط ٤ دار المعارف، والشعر العربي في القرن الثاني الهجري د / محمد مصطفى هدارة صـ ١٤ وما بعدها ط ٢ المكتب الإسلامي بيروت لبنان، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب ا / طه أحمد إبراهيم صـ ٨٩ وما بعدها

على أن هناك من الشعراء من لم يتتبع هذه الأطر جميعها [١] في بناء القصيدة حتى يصل إلى غرضه من قصيدته، فكان يكتفى بالغزل مثلا، أو بوصف الأطلال دون تركيز الحديث عن المتغزل فيها، ولم تكن هذه البدايات مقصورة على قصائد المديح فقط ، وإنما وجدت مع معظم أغراض الشعر .

ولقد حاول "ابن قتيبة" تعليل ظاهرة اتكاء الشاعر على مثل هذه الأطر حتى يصل إلى غرضه من شعره، فذكر أسبابا لذلك، اعتمد فيها على الجانب النفسي لدى الشعراء، وإن كان قد جعل هذه الأطر مقصورة على قصائد المديح الذي يقصد به العطاء.

والقارئ للشعر الجاهلي وما تلاه يجد أن هذه البدايات أو المطالع، أو الأطر للقصيدة العربية، وجدت في غير قصائد المديح التي لم يقصد بها قائلوها عطاء أو ابتزازا، وإنما قيلت من منطلق الإعجاب بشخص الممدوح، لمزية أو لمزايا فيه لا تتصل من قريب أو بعيد بالعطايا والهبات [٢]

وإذا كان "الجاحظ" قد تحدث بوجه عام في بعض المبادئ التي ارتكزت عليها القصيدة العربية الجاهلية والقصائد التي حذت حذوها فإن " ابن قتيبة" تناول بوجه خاص عددا من التقاليد الكائنة في قصيدة المدح حينما عرض لنظامها، وحدد معالمها ودعا الشعراء إلى اتباع تقاليدها الموروثة قائلا : (إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن[٣] والآثار فبكى

---

(١) من هؤلاء الشعراء الذين خرجوا عن هذا التقليد المتبع الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي، في معلقته التي بدأها بالحديث عن الخمر حين قال : –

ألا هُبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

المعلقات السبع للزوزني ت د / محمد عبد القادر أحمد صـ ٢٩١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٧ م

(٢) ينظر إشراقات من تراثنا الأدبي صـ ٨٦

(٣) الدمن : بقع الأرض التي تضم آثار الراحلين وآثار دوابهم

وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها٠٠٠ ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد، وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ؛ ليميل نحوه القلوب ؛ ويصرف إليه الوجوه ؛ وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ٠٠٠ فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر وسرى الليل، وحر الهجير وإنضاء [١] الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة[٢] التأميل

وقرر عنده ما ناله من المكاره، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة وهزه على السماح وفضله على الأشباه، وصغر في قدره الجزيل) [٣]

فالقصيدة عنده تنطوي على **خمسة معالم** مترابطة متجانسة **أولها** : المعلم المكاني المؤثر، أي الديار المهجورة، والدمن التي ما زالت تضم بقايا آثار الأحباء الراحلين، ومن الطبيعي أن يقوده المكان بما يمثله من ذكرى عزيزة عليه إلى **المعلم الثاني** وهو : التذكر الحزين الناشئ عن تذكر أحبائه الراحلين الذين كانوا يقطنون هذا الأماكن، ثم رحلوا عنها التماسا للماء والكلأ، ويسلمه هذا التذكر إلى **المعلم الثالث** وهو : الغرض النفعي فيتحدث عن نفسه التي تئن باكية شدة الوجد، وألم الفراق وفرط الصبابة مستهدفا إثارة عاطفة المستمع ؛ لإعداده وكسب تعاطفه معه، فإذا اطمأن إلى ذلك واستوثق، عمد إلى **المعلم الرابع** وهو : إيجاب الحقوق فيصور معاناته وتحمله أهوال الرحلة بظروفها الطبيعية الشاقة القاسية، وهذا يجعل له حقا عند ممدوحه الذي بدأ الرحلة من أجله، وهنا يبرز **المعلم الخامس** وهو:

(١) إنضاء الراحلة : إرهاق الدابة بحثها على السير

(٢) ذمامة التأميل : حقه

(٣) الشعر والشعراء صـ ٢٧، ٢٨

المديح الذي هو وقفة مباشرة تحث الممدوح على المكافأة، وتدفعه إلى البذل والعطاء [1].

وكأن الشاعر لم يسلك هذه السبل في بناء قصيدته، ولم يتخط هذه الحواجز - فمن حديث عن الأطلال، إلى حديث عن المرأة، إلى وصف الرحلة والراحلة، إلى وصف ما عاناه في رحلته –إلا لإيمانه بأن بناء القصيدة على هذه المقدمات، إنما كانت تستدعيه الرغبة في لفت الانتباه، وإشراك السامعين معه في عاطفته، ولكي يثير الممدوح على البذل والنوال .

ومن منطلق هذه الغاية يرى ضرورة التزام الشاعر بهذه المعالم وتحقيق التوازن الداخلي بينها بأن تظل متناسبة الأجزاء معتدلة الأقسام فلا يغلب في الصياغة واحدا على الآخر، ولا يستحوذ عليه الحديث في غرض ما على حساب غرض آخر.

ويضرب مثلا بأحد الرجاز، وقد ذهب إلى "خراسان " لمدح واليها " نصر بن سيار" فما كان منه إلا أن مدحه بعشرة أبيات من قصيدة بدأها بتشبيب جاوز المائة بيت فلم يعجب ذلك " نصر بن سيار" فأتاه مرة أخرى وأنشده قصيدة في مدحه، فلم يذكر إلا شطرا من التشبيب انتقل بعده إلى المديح انتقالا لم يمهد له، فلم يعجب " نصر " بماء جاء به أيضا وفي ذلك يقول :

(فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام، ولم يطل ويمل السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد ٠٠٠ فقد كان أحد الرجاز أتى " نصر بن سيار " والي خراسان لبني أمية فمدحه بأرجوزة تشبيبها مائة بيت ومديحها عشرة أبيات فقال " نصر " والله ما تركت كلمة عذبة، ولا معنى لطيفا إلا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك، فإن أردت مديحي فاقتصد في النسيب، فأتاه فأنشده :-

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لأُمِّ الغَمْرِ دَعْ ذَا وحَبِّرْ مدْحَةً في نَصْرِ

(١) ينظر قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم د / حسن البنداري صـ ١٨٤ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩

فقال نصر : لا هذا ولا ذاك، ولكن بين الأمرين) [١]

ويدعو " ابن قتيبة" متأخري الشعراء إلى السير على ما سار عليه القدامى في بناء قصائدهم متتبعين أخيلتهم، ومظاهر طبيعتهم، وظروف حياتهم، فيقول :

(وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام، فيقف على منزل عامر، أو يبكي عند مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العذاب الجواري لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي [٢] أو يقطع على الممدوح منابت النرجس والآس، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوه والعرارة) [٣]

إننا نلحظ مدى تعظيم "ابن قتيبة" لمنهج الشعر القديم الذي يجب الاقتداء به والتقيد بتقاليده، إذا أراد الشعراء المحدثون تحقيق الجودة لشعرهم، في دقة تصميم وترابط بناء ٠

وهذه الدعوة تهدف إلى إقرار نظام عام لنوع من القصائد العربية الخالصة وفق تقاليد عريقة تتطلبها أذواق المتلقين، مراعاة لأحوالهم النفسية، ومن هذا المنطلق علل بناء القصيدة العربية على المعالم السابقة إيمانا منه بأن بناءها على هذه المعالم وتلك المقدمات تستدعيه الرغبة في لفت الانتباه وإشراك السامعين معه في عاطفته، وهي عاطفة تسهل المشاركة فيها لأنها قريبة إلى القلوب[٤]

ولكن كثيرا من الشعراء الذين حملوا لواء التجديد، ودافعوا عن الشعر المحدث ضد الشعر القديم المحافظ لم يلتزموا هذا النهج بل تنكروا له

(١) الشعر والشعراء صـ ٢٨

(٢) الأواجن الطوامي : المياه الكدرة بالطين

(٣) الشعر والشعراء صـ ٢٨، ٢٩

(٤) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / إحسان عباس صـ ١٠٠

وثاروا عليه فها هو ذا "أبو نواس" يثور على استهلال القصيدة بالمقدمة الغزلية الطللية ؛ لأنها لا تعبر عن إحساس حقيقي صادق عند الشاعر، إذ ليس من الصدق أن نبكي الأطلال ولا أطلال، ولذلك عاب هذا النهج منكرا أن تفتتح القصائد بالنسيب وذكر الرسوم وديار الأحباب، وأهلها يعيشون بعيدا عن البادية لا يعرفون الحل أو الترحال [١] وقال في ذلك شعرا يمثل ثورته ويدل عليها من ذلك قوله :- [٢]

صفة الطلول بلاغة الفدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم [٣]
تصف الطلول على السماع بها أفذوا العيان كأنت في الحكم
وإذا وصفت الشيء متبعا لم تخل من خطأ ومن وهم

وفي قوله :- [٤]

عاج الشقي على دار يسائلها ورحت أسأل عن خمارة البلد [٥]
لا يرقئ الله عيني من بكى حجرا ولا ثنى وجد من يصبو إلى وتد [٦]
قالوا ذكرت ديار الحي من أسد لا در درك قل لي من بنو أسد؟ [٧]
دع ذا عدمتك واشربها معتقة صفراء تعنق بين الماء والزبد [٨]

(١) ينظر في النقد الأدبي عند العرب د / طاهر درويش صـ ١٢٥ طبع دار المعارف ١٩٦٩ م
(٢) ديوان أبي نواس تحقيق ا / أحمد عبد الحميد الغزالي صـ ٥٧، ٥٨ دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٥٣ م
(٣) الفدم : العي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم، والمراد التخلف عن مجاراة التطور
(٤) ديوان أبي نواس صـ ٤٦
(٥) عاج : رجع ومال ونزل
(٦) لا يرقئ : لا يسكن ولا يجف، والوجد : الحزن، ويصبو : يحن
(٧) لا در درك : لا فاض خيرك، أو زاد
(٨) الخمر المعتقة : القديمة التي طال تعتيقها

ولم يقف "أبو نواس" عند حدود ثورته على البدايات الطللية بل ثار أيضا على القصائد التي تبدأ بالغزل أو النسيب، فقال :- [١]

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

وقد اعتنق دعوته إلى الخروج على النظام القديم عدد من الشعراء المعاصرين له، واللاحقين مثل "أبي الطيب المتنبي " وقد جاهر بذلك في قوله رافضا أن تفتتح قصائد المدح بالنسيب فقال:[٢]

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعرا متيم

ومهما يكن من أمر هذه الدعوة فإنها لم تكن دعوة هدم لإطار القصيدة القديمة أو مهاجمة ذلك النهج القديم ورفضه رفضا مطلقا، وإنما كان خروجا لا يعدو أن يكون محاولة للتخلص من استهلال بالنسيب والأطلال ؛ لإحلال استهلال من نوع آخر هو استهلال " بالخمر" أو بشيء آخر طريف، مع المحافظة على الصياغة القديمة من حيث البناء والتصميم .

ويتبين لنا من الوقوف على أبعاد تلك الخصومة، أن جوهر الخلاف فيها هو في مدى القرب من تقاليد القصيدة العربية القديمة أو البعد عنها، وأن الاتجاه الأول الذي تبناه "ابن قتيبة" يحث أنصاره على التقيد بنظم القصيدة القديمة وتقاليدها، والثاني الذي تبناه "أبو نواس"يدعو أصحابه إلى التمسك بالحداثة ورفض التقليد ؛ لإيمانهم بفكرة استنفاذ القدماء معاني الشعر وألفاظه وصوره ٠ [٣]

وقد فهم بعض الدارسين من قوله (فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام) [٤] إصراره على أن يظل هذا الشكل

---

(١) الوساطة بي المتنبي وخصومه للقاضي عبد العزيز الجرجاني تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي صـ ١٥١ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٩

(٢) السابق صـ ١٥٢

(٣) ينظر قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم صـ ١٧٦

(٤) الشعر والشعراء صـ ٢٨

نظاما صارما لكل شاعر جاهليا كان أم إسلاميا، وأنه يحرم على المتأخرين التحلل من ربقة هذا النظام ٠

ومن هنا اتهمه البعض بجمود موقفه، وحاول عقد مقارنة بين رؤيته هذه ودعوة "أبي نواس " أحد أبرز المجددين والمعارضين لها [١] كما رماه البعض بالتحيز للقدماء من حيث طريقتهم ونهجهم في القصيد، ومجاراته لكثير من اللغويين في أن هذه الأصول القديمة يجب ألا تمس في جوهرها، فليس لشاعر محدث أن يخرج على مذهب المتقدمين في الأقسام التي يجيئون بها في ابتداء قصائدهم[٢]

ونحن لا نرى في قوله : (والشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ٠٠٠) سوى تأكيده على التناسب، وتحقيق التوازن الداخلي بين القصيدة حتى تأتي مترابطة محكمة

ولا نرى قوله : (وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج على مذهب المتقدمين٠٠٠٠) [٣]

حجرا على المتأخرين في الالتزام بتقاليد القدماء، وإنما أراد لمن يريد الاتباع والاتباع فقط، فعليه الاعتماد على تلك الحقائق والثوابت والمعالم بشروطها وصفاتها كما وردت في نصوص القدماء، فما كان له بعد أن أنصف المحدثين وسمح لإنتاجهم منذ قليل أن يوضع في كفة واحدة مع القدماء ليحكم له أو عليه شأن القديم رأسا برأس ما كان له أن يقف هذا الموقف الجامد، وأن يحجر عليهم هذا الحجر القسري، وأن يلقي بهذا الرأي الشاذ الذي لقي نفورا واعتراضا من الكثيرين ٠ [٤]

---

(١) يتساءل محقق كتاب النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني : أكان "أبونواس" أصدق حكما، وأنفذ بصيرة من " ابن قتيبة" ؟ ويقول رادا على سؤاله : وماذا في هذا ؟ إنه شاعر دفع مئات المرات إلى مضايق الشعر وغاص إلى أعمق عمق فيه، ولا ينبئك مثل خبير.

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ا / طه أحمد إبراهيم صـ ١٢٨

(٣) الشعر والشعراء صـ ٢٩

(٤) ينظر النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني صـ ٧٠

لقد رأى في تقاليد القدماء حقائق ثابتة، وقيما أصيلة، ومبادئ عريقة فأراد التحذير من تشويه تلك الحقائق، وطمس تلك المبادئ وكأنه أراد أن يقول لمعاصريه من الشعراء بلهجة حادة إن أردتم الاتباع فاعتمدوا تلك الحقائق ! وإلا فاطرقوا أبوابا فنية جديدة، وجددوا بما يتناسب مع عصركم ، ولن تكونوا مجددين حقيقة بالاكتفاء بتغيير أسماء الأماكن أو الدواب أو النبات، أو حتى بمجرد استبدال مطلع بمطلع[1]

وعلى هذا نستطيع أن نقرر :

إن رؤية "ابن قتيبة" كانت تهدف إلى إقرار نظام عام لنوع من القصائد العربية وفق تقاليد فنية عريقة تمثل عمود القصيدة العربية القديمة .

أنه أفلح في وضع تصور عام لفلسفة تقاليد القصيدة القديمة وقد ضمن هذا التصور بعض الحس الجمالي والنفسي والاجتماعي، وكان أروع ما قدمه مناداته بأن يوازن الشاعر بين هذه الأقسام فلا يطيل في واحد منها ليحيف من صميمية الآخر [2]

أنه أراد الإشارة إلى أن ثمة وحدات جزئية مترابطة تتمثل في القصائد القديمة هي تقاليد موروثة، يمكن لمن ينشدون الجودة في أشعارهم احتذاءها واتباع نهجها.

٥ ـ <u>قضية الطبع والتكلف</u> .

ومن القضايا النقدية التي أثارها " ابن قتيبة " في كتابه قضية الطبع والتكلف، إذ لم تقف رؤيته عند حدود الشاعر، ومنهجه في تأليف قصيدته فحسب، ولم ينظر إلى القدم والحداثة وفقط، إذ ليسا هما كل شيء في الشعر،

---

(١) لم يصنع أبو نواس شيئا فنيا كبيرا فالوقوف على الحانات بدل الوقوف على الأطلال هو مجرد تغيير في الموضوع لا في الطريقة الفنية، ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/إحسان عباس صـ ١٠١

(٢) ينظر قضايا نقد الشعر في التراث العربي د / محمد أحمد العزب جـ ١ صـ ٢٥٣

وإنما هناك الطبع والشعور، والملكة الشعرية، وأمور أخرى أدنى إلى روح الشعر، وأقرب إلى صنعته ٠

فقسم الشاعر إلى متكلف ومطبوع، وبدأ بتعريف المتكلف فقال :-

(ومن الشعراء متكلف ومطبوع: **فالمتكلف** هو الذي قوم شعره بالثقاف[١] ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهيرٍ[٢] والحطيئة[٣] وكان الأصمعي يقول: زهيرٌ والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحَوْلي المنقح الممحكك. وكان زهيرٌ يسمى كبرى قصائده الحوليات[٤])[٥]

وهو هنا لا يقصد **بالتكلف** التعمل، والمجاهدة، ومحاولة استنزال الشعر على غير طبع في صاحبه، وإنما قصد به معاودة الشاعر لشعره صقلا وتنقيحا وتهذيبا حتى لا تتداوله الأسماع إلا بعد بلوغه قمة الجودة الدافعة إلى الثناء عليه، والإشادة به وكان الشاعر " زهير بن أبي سلمى " أول من سار على هذا النهج في شعره، وأسس مدرسة كان لها أتباعها وأنصارها فيما بعد ٠

"فسويد بن كراعٍ" أحد أتباع هذه المدرسة يكشف عن تجربته مع النص، وتلطفه معه وترقبه وتنقيحه له، فيقول :- [٦]

---

(١) الثقاف : هو في الأصل ما تسوى به الرماح، ويراد به هنا تنقيح الشعر ومراجعته

(٢) كان مما قاله الجاحظ في بيانه عن جودة شعر "زهير" واهتمامه بتنقيحه لشعره (ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا "كاملا" وزمنا طويلا يردد فيها نظره، ويقلب فيها رأيه ٠٠٠)

(٣) كان من تلاميذ "زهير"وأخذ بمنهجه وسار عليه

(٤) الحوليات : نسبة إلى الحول، وهو العام فقد كان"زهير"ينظم القصيدة في ستة أشهر وينقحها في ستة أخرى

(٥) الشعر والشعراء صـ ٢٩

(٦) الشعر والشعراء صـ ٢٩

أبِيتُ بِـأَبْـوابِ القـوَافي كَـأَنَّمَا أُصَادي بها سِرْباً مِنَ الوَحْش نُزَّعَا[١]
أُكَـالِئُهَا حَـتَّى أعَـرِّسَ بـعْدَ ما يـكُونُ سُحـيْراً أَوْ بُـعَيْـدُ فـأَهْجَعا[٢]
إِذَا خـفْتُ أَنْ تُرْوَى علَّى رَدَتْتُهَا وَرَاءَ التّـرَاقِي خَـشْيـةً أَنْ تَـطَلَّعا[٣]
وَجَشَّمَني خَوفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا فَثَقَّفْتُهَا حَـوْلاً جَـــرِيداً ومَــرْبَعا[٤]
وقَدْ كان في نَفْسِي عليْها زِيَادَةٌ فَلَـــمْ أَرَ إلاَّ أَنْ أُطِيـــعَ وأَسْمَـــعا

و" عدي بن الرقاع " يشير إلى عملية التجويد في شعره أيضا، فيقول :- [٥]

وقَصيـدَةٍ قَدْ بِت أَجْمَعُ بَيْنَها حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسِنَادَها [٦]
نَظَرَ المُثَقِّفِ في كُعُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيـــمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَهـا[٧]

و"ابن قتيبة" بتقديمه لهذين النموذجين يوضح لنا مقدار ما يبذله أنصار مذهب الصنعة الفنية من جهد كبير، فأولهما كشف عن صنعته التي تتضمن الترقب والتحايل في زمن غير قصير لبناء قصيدة محكمة، كما تتضمن إحساسه بمسئولية إعلانها ونشرها، مما دعاه إلى تهذيبها وتثقيفها لمدة عام كامل، وثانيهما عكف على قصيدته زمنا لتقويم ما بها من ميل وانحراف، كما يصنع مثقف الرماح الخبير، وكلا الشاعرين أراد إظهار مدى حرصه على بلوغ المثال الشعري المنشود وهو يعمد إلى بناء قصيدته

(١) أصادي : أداجي وأداري، والسرب : القطيع من الظباء والنساء وغيرها
(٢) أكالئها : أحرسها وأرعاها، والتعريس : الدخول في آخر الليل
(٣) التراقي : جمع ترقوة وهو عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين
(٤) جشم : حمل، وثقف : أصلح، والحول الجريد : العام الكامل، والمربع : المراد به زمن الربيع.
(٥) الشاعر والشعراء صـ ٣٠
(٦) السناد : اختلاف الحركات
(٧) القناة : الرمح، والمناد : المعوج

ومن خلال تعريفه للتكلف نتبين مفهوم **الطبع** عنده وهو انطلاق شاعرية المبدع على سجيتها، وإتيانها بالجيد الرائع، دون معاودة للصقل أو التهذيب والتنقيح.

ولهذا نراه يعرف المطبوع من الشعراء، في موطن آخر ويضرب لما ذهب إليه نماذج وأمثلة، فيقول : (**والمطبوع** من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر[١]) [٢]

قال "الرياشي" حدثني "أبو العالية" عن "أبي عمران المخزومي " قال أتيت مع أبي واليا على المدينة من قريش وعنده " ابن مطير" وإذا مطر جود، فقال له الوالي صفه ! فقال : دعني حتى أشرف وأنظر، فأشرف ونظر ثم نزل، فقال : -

كَثُرَتْ لِكَثْرَةِ قَطْرِهِ أطْبَـــاؤُهُ ... فـــإِذَا تَحَلَّبَ فَاضَتِ الأَطْبَاءُ[٣]
وكَجَوْفِ ضَرَّتِهِ التي في جَوْفِهِ ... جَوْفُ السَّمَاءِ سِبَحْلَةٌ جَوْفَاءُ[٤]
ولَهُ رَبَـــابٌ هَيْـدَبٌ لِـرَفِيـفِـهِ ... قَبِـــلَ التَّبَعُّق ديمَـــةٌ وطْفَاءُ[٥]
وكـــأَنَّ بـــارِقَهُ حَـــرِيقٌ يَلتَقي ... رِيـــحٌ عليـــهِ وعَرْفَجٌ وأَلاَءُ[٦]
وكَـــــأَنَّ رَيّقِـهُ ولَـمَّا يَحْتـــفِلْ ... وَدْقُ السَمَـاء عَجَاجَةٌ كَدْرَاءُ[٧]
مُسْتَصْحِـكٌ بِلَوَامِـــع مُسْتَعْبِرٌ ... بِمَـدَامِعٍ لـــمْ تَمْرِهَا الأَقْذَاءُ[١]

---

(١) يتزحر : يتكهن

(٢) الشعر والشعراء صـ ٣٧

(٣) أطباؤه : جمع طُبِ،وهو الضرع من كل ذي خف، وتحلب : هطل

(٤) السبحلة : الضخمة

(٥) الرباب : السحاب الأبيض، والهيدب : المدلى من السحاب، والرفيف : وميض البرق، والتبعق : الإمطار الشديدة، والديمة : السحابة المسترخية لكثرة مائها، والوطفاء : الهاطلة

(٦) العرفج : شجر سهلي، واحدته عرفجة، وآلاء : شجر مر

(٧) الرق : الماء، والودق المطر الشديد

فَلَـــهُ بِـــلاَ حُـزْنٍ ولا بِمَسَرَّةٍ ضَحْـــكٌ يـــؤَلِّفُ بَيْنَهُ وبُكاءُ

الخ أحد عشر بيتا قال عقبها(وهذا الشعر مع إسراعه كثير الوشي لطيف المعنى) (٢)

غير أنه لم يحدد لنا أمارات الشاعر المطبوع، ولم يبين لنا أوصافه، وإن كانت تؤخذ ضمنا مما سبق، بأنه من جاد بالشعر عن إسماح وطبع وغريزة، وصدر عن نفس تحس ما تقول، وانبعث عن سليقة، ووفق في شعره إلى الإبانة المصقولة الواضحة، وغيرها من أمارات السجية والطبع ؛ لأن ميادين الطبع والشعور فسيحة ومتنوعة، أم قصد بها الشاعر المرتجل ؟ ولو قصد بها الشاعر صاحب القدرة على الارتجال، لكان الطبع بمعنى الارتجال وهو غير مراد عنده . (٣)

ويسوق "ابن قتيبة " نصا آخر يشير فيه إلى الأمارات التي نتبين بها التكلف في الشعر، ونعرف من خلالها الشاعر المتكلف، فيقول :

(والمتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاءٌ على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر، وشدة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجةٌ إليه، وزيادة ما بالمعاني غنًى عنه) (٤)

كقول " الفرزدق" في "عمر بن هبيرة" لبعض الخلفاء:-

أَوَلَّيْتَ العِرَاقَ ورَافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيصِ (٥)

يريد: أوليتها خفيف اليد، يعني في الخيانة، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص ورافديه: دجلة والفرات، وكقول الفرزدق:-

---

(١) تمرها : تفسدها، والأقذاء : جمع قذى، وهو ما يقع في الماء فيكدر صفوه

(٢) الشعر والشعراء صـ ٣٩

(٣) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ١ / طه أحمد إبراهيم صـ ١٢٩

(٤) الشعر والشعراء صـ ٣٦

(٥) فزاري : شخص من فزارة، أحذ اليد : خفيف اليد في السرقة، سريع إلى الخيانة

وعَضُّ زَمَانٍ يا ابْنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ (١)

فرفع آخر البيت ضرورةً، وأتعب أهل الإعراب في طلب العلة، فقالوا وأكثروا ولم يأتوا فيه بشيءٍ يرضي، ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر أن كل ما أتوا به من العلل احتيالٌ وتمويه؟ وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه إياه فشتمه وقال: علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا! ثم يعلق "ابن قتيبة" على ما مضى وغيره من مثله بقوله : وهذا كثير في شعره على جودته. (٢)

لقد قصد "ابن قتيبة من هذه النصوص أن يلفت الأنظار إلى ضرورة توفر الشاعر على قصيدته، وتسخير قدراته الذهنية التي تعينه على طول التفتيش ومعاودة النظر، فيتناولها بالتعديل إذا احتاج إلى ذلك، أو بطول التفكير وشدة العناء وبذل المزيد من الجهد حتى ينقيها من الخطأ الأسلوبي المتمثل في " كثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجةٌ إليه، وزيادة ما بالمعاني غنًى عنه " على نحو ما ظهر في بيتي الفرزدق : فقد حذف من البيت الأول : "أوليت العراق ٠٠٠٠ " ما يحتاج المعنى إلى ذكر هذا المحذوف وهو " أنه خفيف اليد في الخيانة " فصار المعنى من غير هذه الجملة ناقصا فاضطر إلى ذكر ما لا يحتاج إليه المعنى وهو كلمة " القميص" الموافقة لقافية القصيدة ولكنها تعتبر حشوا زائدا على المعنى العام للبيت غير مفيد ٠

وفي البيت الثاني " وعض زمان ٠٠٠ " رفع آخره وهو كلمة " مجلف" على الرغم من أن الكلمة معطوفة على منصوب وهي كلمة " مسحتا " مما يقتضي نصبها ولكنه رفعها لضرورة القافية، ولم ير النحويين للرفع علة أو وجه من الوجوه ٠مما أوقعه في الخطأ ٠ (٣)

---

(١) مسحت : مهلك ومذهب، والمجلف : الذي أتى عليه الدهر فأذهب ماله

(٢) الشعر والشعراء صـ ٣٧

(٣) ينظر قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم صـ ١١٩

من هنا يتجلى حرص"ابن قتيبة" على ضرورة النظر والتأمل لتحقيق القدر الأكبر من سلامة اللغة التي تظهر أوضح ما تظهر في فصاحة التعبير أو التركيب وسلامته، واستقصاء المعاني وترابطها، وترتيب بعضها على بعض لتحقيق التلاحم بين أجزاء العمل الشعري ٠

إذن فالتكلف الذي يراد به معاودة الشاعر لشعره صقلا وتهذيبا وتنقيحا لا يعد عيبا يلحق بالشاعر ؛ لأن المعاودة لا تعني تبلد الشاعرية أو عجزها عن التعبير(١) كما أن هذا التقسيم لا يعني ملازمة كل من التكلف والطبع لمن يتصف به ملازمة تامة(٢) فضلا عن أن البيت إذا وقع مطبوعا في غاية الجودة، ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن كان

(١) دليل ذلك أن الشاعر جرير على قدره في الشعر، عيب عليه قلة تنقيحه في شعره، فعن عيسى بن إسماعيل قال سمعت الأصمعي يقول : قرأت علىخلف شعر جرير فلما بلغت قوله :-

ويوم كإبهام القطاة محبب إلي هواه غالب لي باطله
رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوما خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

فقال ويله !! وما ينفعه خير يئول إلى شر ؟ قلت له هكذا قرأته علي "أبي عمرو" فقال لي : صدقت، وكذا قاله جرير ! وكان قليل التنقيح في شعره مشرد الألفاظ، وما كان " أبو عمرو ليقرأك إلا كما سمع، فقلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قال: فيالك يوما خيره دون شره، فانظر كيف كانت قلة التنقيح هنا عيبا أزرى بالشاعر فليس التنقيح عيبا في كل حال، الموشح للمرزباني صـ ١٧١

(٢) يورد ابن رشيق في كتابه العمدة نماذج لشعراء تعرضوا لمواقف قاسية في حياتهم فأتوا بشعر لو أنهم تأنقوا وتكلفوا فيه لما جاءوا فوق ما جاءوا من مثل "عبد يغوث بن صلاءة" إذ يقول في كلمة طويلة وكانوا قد شدوا لسانه قبيل قتله خوف الهجاء، ثم أطلقوه لينوح على نفسه، بعد أن عاهدهم :-

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا
فياركبا إما عرضت فبلغن نداماي من نجران ألا تلاقيا

العمدة جـ ١ صـ ١٦٢

المصنوع أفضلهما [١] لتجويد الشاعر فيه صنعة الشعر، ووصوله بها إلى ذروة الكمال الفني [٢]

٦ ـ استدعاء الشعر

من القضايا التي ذكرها "ابن قتيبة" قضية استدعاء الشعر ودوافع نظمه حيث تعرض لذكر عدة عوامل ادعى أنها تحث الشعراء، وتدفعهم إلى نظم الشعر الجيد وقد قسمها إلى قسمين :-

عوامل نفسية : تتمثل في الغضب، والطرب، والشوق، والطمع ٠٠٠٠

وعوامل مادية : تتمثل في الشراب، واختيار أماكن ملائمة كالرياض المعشبة والأماكن الخالية ٠

فهذه العوامل تهيئ الشاعر قبل صوغ الشعر، إذ تقف وراءها قوة كامنة في النفس لها تأثيرها في التحكم في صوغ المعنى الشعري، فيقول في هذا الصدد (وللشعر دواعٍ تحث البطئ وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب) [٣] ثم يسوق بعض

---

(١) السابق صـ ١١٣

(٢) لذا أثنوا على "الحطيئة" وعدوا من فضل صنعته، حسن نسقه الكلام بعضه ببعض في قوله :-

فلا وأبيك ما ظلمت قريع — بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا
ولا وأبيك ما ظلمت قريع — ولا برموا لذاك ولا أساءوا
بعثرة جارهم أن ينعشوها — فيغبر حوله نعم وشاء
فيبنى مجدهم ويقيم فيها — ويمشي إن أريد به المشاء
وإن الجار مثل الضيف يغدو — لوجهته وإن طال الثواء
وإني قد علقت بحبل قوم — أعانهم على الحسب الثراء

العمدة جـ ١ صـ ١١١

(٣) الشعر والشعراء صـ ٣٠

الأمثلة على صحة مذهبه فيقول :(قيل للحطيئة، أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية، فقال: هذا إذا طمع) [١]

وهي رؤية جديرة بالنظر، فالطمع باعث من بواعث الشعر، ودافع من دوافعه وإلا لما سمعنا اعتذارات "النابغة الذبياني" للنعمان بن المنذر" ورأينا طواف "الأعشى" بشعره واتخاذه متجرا [٢] وما طربنا لمدائح "المتنبي" في سيف الدولة ٠

(وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخريمي: مدائحك "لمحمد بن منصور بن زياد" يعني كاتب البرامكة، أشعر من مراثيك فيه وأجود؟ فقال: كنا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بونٌ بعيد) [٣] نعم البون بينهما بعيد لما في المديح من رغبة في العطاء دافعها- غالبا- راجع إلى الطمع، وما في الرثاء من مجرد الوفاء ليس أكثر (وقصة "الكميت" في مدحه بني أمية وآل أبي طالبٍ فإنه كان يتشيع وينحرف عن بني أمية بالرأي والهوى، وشعره في بني أمية أجود منه في الطالبيين ولا أرى علة ذلك إلا قوة أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة) [٤] وهكذا يكون الطمع باعثا قويا ومهيمنا في صياغة الشعر، إذ يحرك في الشاعر نوازع الشاعرية، ويجعل المعنى الشعري البعيد قريبا وفي متناوله ٠

ومن تأثير أسباب الطرب في النفوس (أن "النابغة الجعدي"أمسك عليه أربعين يوما فلم ينطق بالشعر، ثم إن بني جعدة غزوا فظفروا فاستخفه

(١) السابق صـ ٣٠

(٢) أول المتكسبين بالشعر النابغة، مدح الملوك، وقبل الصلة على الشعر وحينما سئل "أبوعمرو بن العلاء" لم خضع "النابغة" للنعمان ؟ فقال رغب في عطائه وعصافيره ٠ ولما جاء الأعشى جعله متجرا يتجر به نحو البلدان، وقصد حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته علما بقدر ما يقول عند العرب، واقتداء بهم فيه ٠ ينظر العمدة جـ ١ صـ ٧٠

(٣) الشعر والشعراء صـ ٣٠

(٤) الشعر والشعراء صـ ٣١

الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما أستصعب عليه، فقال قومه والله لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسر منا بالظفر بعدونا) (١)

ويعرض "ابن قتيبة" إلى ما ينشط غريزة الشاعر وينميها بداخله فيقول : (وقيل لكثيرٍ: ياأبا صخرٍ كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال: أطوف في الرباع المخلية والرياض المعشبة(٢) فيسهل علي أرصنه، ويسرع إلى أحسنه ويقال إنه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري، والشرف العالي، والمكان الخضر الخالي وقال الأحوص:-

وأَشْرَفْتُ في نَشْزٍ مِنَ الأَرْضِ يَافِعٍ وقَدْ تَشْعَفُ الأَيْفَاعُ مَنْ كانَ مُقْصَدا

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سهية: هل تقول الآن شعراً؟ فقال: كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطرب (٣) ولا أغضب ؟ وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه) (٤)

إن "ابن قتيبة" بهذه الأقوال يكشف عن ضرورة إثارة هذه القوة الكامنة في النفس قبل الصياغة بمؤثرين :

الأول : تأمل صور الطبيعة المتعددة إذ أن طواف الشاعر بالأماكن الخالية ووروده على الرياض الخضراء، والمياه الجارية، وصعوده

---

(١) تناول "ابن عبد ربه" في كتابه العقد الفريد دور تعدد مناظر الطبيعة في إثارة هذه القوة بعبارات قريبة من عبارات "ابن قتيبة" فذكر (قالت الحكماء لم يستدع شارد الشعر بأحسن من الماء الجاري، والمكان الخالي والشرف العالي ولقي "أبو العتاهية" الحسن بن هانئ فقال له : أنت الذي لا تقول الشعر حتى توتي بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك ؟ قال : وكيف ينبغي للشعر أن يقال إلا على هذا ؟ العقد الفريد جـ ٥ صـ ٣٢٦

(٢) سئل ذو الرمة كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر ؟ فقال : كيف ينقفل دوني وعندي مفاتحه ؟ قيل له : وعنه سألناك ما هو ؟ قال الخلوة بذكر الأحباب) لأنه عاشق يطرب لعشقه، العمدة جـ ١ صـ ١٧٣

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشهي ت محمد مفيد قميحة جـ ١ صـ ١٣٨ ط ٢ دار الكتب العلمية بيروت

(٤) الشعر والشعراء صـ ٣١

المرتفعات العالية المشرفة على الوديان والسهول، يعد خروجا على الصور المألوفة الجامدة، فيثير تلك القوة الكامنة في نفسه، فيقبل على صوغ المعاني التي يقصدها ٠

ولذلك عقب على قول الأحوص السابق : **وأشرفت في نشز يافع** ٠٠٠٠ بقوله : وإذا شفعته الأيفاع مرته " حركته " واسْتدرَّته، أي أن الأيفاع أو الأماكن المرتفعة إذا أبصرها شغف بها، وأحبها، وعلق بها، ومن ثم تقبل قوة الغريزة على نظم الشعر (١)

ويعزز رأي "ابن قتيبة "هذا، ما يرويه "ابن رشيق" من أن "الفرزدق" كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر، ركب ناقته، وطاف خاليا منفردا في شعاب الجبال وبطون الأودية والأماكن الخربة الخالية، فيعطيه الكلام قياده، ومن أن "أبا نواس" عندما سئل عن كيفية عمله في صناعة الشعر قال : (أشرب حتى إذا كنت أطيب ما أكون نفسا بين الصاحي والسكران صنعت وقد داخلني النشاط وهزتني الأريحية) (٢)

<u>والثاني</u> : بواعث الشراب، والصوت الشجي، فشرب الخمر ينسي الهموم كما - في زعم شاربيها- وطرب النفس بالغناء ونحوه مما يحدث توترا لقوى الغريزة فيقبل الشاعر على قول الشعر فيأتيه المعنى الشارد واللفظ المتأني ٠

ولذا أورد ابن قتيبة قوله : (قيل "للشنفري" حين أسر! أنشد، فقال: الإنشاد على حين المسرة، ثم قال:-

فَلاَ تَدْفنُوني إنَّ دَفني مُحَرَّمٌ عليْكُمْ ولكِنْ خَامِرِي أَمَّ عَامِر(٣)
إذَا حَمَلُوا رأسِي وفي الرأسِ أَكثَرِى وغودِرَ عِنْدَ المُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِى(٤)

(١) ينظر قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم صـ ١٠٣
(٢) العمدة جـ ١ صـ ١٧٤
(٣) أم عامر : من كنى الضبع، ويضرب به المثل
(٤) سائري : باقي جسدي، وسائر كل شيء بقيته، وليس جميعه

هُنـــالِكَ لاَ أَرْجُـــو حَيَـــــاةً تَسُرُّني سَمِيَر الليـــالي مُبْسَـلاً [1] بالجَرَائر

ولم يذكر لنا "ابن قتيبة"من وسائل الشعراء لاستدعاء الشعر الجيد سوى الجانب الإيجابي للبيئة، من الإشراف على أماكن النبات المزهرة، والمواضع الخضرة الخالية، والمياه العذبة الجارية ، والصور المشرقة الرائقة، معتبرا أن مقومات الطبيعة من اعتدال الجو، وجريان الماء ، ووفرة الخضرة والنبات، وإمتاع النظر كلها بواعث تعمل على تنشيط الطبع، ونظم الشعر الجيد، مهملا أشياء أخرى قد تنهض بإثارة الطبع، وإهاجة الغريزة، مضادة لما ذكره، كحرارة الجو أو برودته بدلا من اعتداله، وجفاف الزرع والنبات، بدلا من ترعرعه وازدهاره، ونقص الماء وشحه، بدلا من تدفقه وجريانه ؛ وإلا لحرم أصحاب تلك البيئات القاسية، والأجواء الشديدة من شعر جيد ؛ بل ما يتناسب مع الواقع، ويوافق الصواب أن نقول : إن الباعث على صوغ الشعر ليس أمرا ثابتا بل الباعث عليه حالة خاصة تتزامن مع عملية الإبداع تختلف من شاعر إلى آخر كل على حسب طبعه وعادته وبيئته، ولذا كان "الفرزدق" الذي كان يطوف،عندما يعثر عليه قول الشعر يقول: (أنا أشعر تميمٍ عند تميم، وربما أتت على ساعةٌ ونزع ضرس أسهل على من قول بيت) [2] قاصدا بذلك أنه رغم اقتداره الشعري لا يدعي لنفسه صوغ الشعر في كافة الأحوال، أو مع كل المحاولات ؛ لأن ثمة حالة يعجز فيها عن إنشاد بيت واحد، ولعل ملاك الأمر في ذلك كله أن يستجمع الشاعر خاطره، وأن يصرف همه إلى نظمه، وأن يفرغ من كل شاغل يشغله .

٧ – <u>التأثير الزمني</u>

(١) المبسل : المهلك، والجرائر : الجرائم والذنوب

(٢) الشعر والشعراء صـ ٣١

ويورد ابن قتيبة عاملا آخر له شأنه في اكتمال عملية الإبداع الشعري هو عامل الزمن فيقول : (وللشعر أوقاتٌ يسرع فيها أتيه، ويسمح فيها أبيه. منها أول الليل قبل تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس والمسير، ولهذه العلل تختلف أشعار الشعراء، ورسائل الكتاب) (١)

فيضع أمام الشعراء منهجا زمنيا يظهر من خلاله مدى تأثير اختيار الزمن المناسب في مد قوة الغريزة بالقدرة على صوغ المعاني بما يلائمها من الألفاظ فيحدد أوقاتا بعينها لها تأثيرها ٠

منها : "أول الليل قبل تغشي الكرى"حيث تتقد الغريزة وتنشط وتنصرف إلى المعنى المقصود، وقد خلصت من شواغل النهار ومتاعبه ٠

ومنها : "صدر النهار قبل الغذاء" إذ أن أول النهار من الأوقات المناسبة لما يحل بالذهن من جلاء، وبالجسد من نشاط نتيجة لذهاب أثر النوم والخمول ٠

ومنها : "يوم شرب الدواء" حيث يحدث في النفس تفاؤلا بالحياة، وأملا في التعافي والشفاء، فتقبل على الحياة وتعود إلى العمل راغبة متوثبة بعد أن أصابها الخور والتراجع، بسبب المرض والتشاؤم من العلة (٢)

ومنها:أشياء أخرى غير محددة بزمن**" كالخلوة "** التي تصفو فيها النفس فيستأثر بها صاحبها، وقد خلصت له ٠ و**"الحبسة"** التي ينقطع فيها الشاعر عن كل ما حوله، ويفرغ من كل شواغله و**"المسير"** وفيه تتجدد صور الكون أمام الشاعر ويضيف لنفسه صورا جديدة من الطبيعة والحياة، فهذه كلها عوامل تستنهض غريزة القول عنده، وتعينه على نظم الشعر، وبسببها تختلف أشعار الشعراء ورسائل الكتاب وتتفاوت تفاوتا بينا، بين القوة والضعف، والجودة والرداءة، ولعله أراد أن ما نراه من قوة في

(١) الشعر والشعراء صـ ٣٢ ٠

(٢) ينظر قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم صـ ١٠٧

القصيدة الواحدة عائد إلى التقيد بصورة الزمن، وما نلحظه من ضعف سببه إرغام النفس على القول في شتى الأزمان، وسائر الأوقات ٠

لقد التفت "ابن قتيبة" في هاتين القضيتين أعني قضية دوافع نظم الشعر وقضية تأثير الزمن فيه، إلى الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر، وقد تناولها من جانبين:

(أ) الأول : جانب الحوافز النفسية الدافعة لقول الشعر، كالطمع والشوق والطرب، والغضب، وما تثيره هذه الحوافز كالشراب، والمناظر الطبيعية الجميلة.

(ب) والثاني: جانب العلاقة بين الشاعر والزمن ؛ لأن بعض الأوقات ذو تأثير خاص في المزاج الشعري، كأول الليل، وصدر النهار ٠٠٠ الخ.

فقرر أن لهذين الجانبين أثرا في تفاوت شعر الشاعر الواحد، فبعض الحالات النفسية والجسدية التي تعرض له، واختيار وقت من غير الأوقات المشار إليها، إذا اضطر الشاعر إلى التغاضي فيها عن الحالة الصالحة، والوقت الصالح، كان ما ينظمه حينئذ مختلفاً متفاوتاً، وهنا يعود بنا التذكر إلى أن "الأصمعي" عندما علل التفاوت في شعر "حسان" نسب ذلك إلى الموضوع، ولما عرض له "ابن سلام" نسب ذلك إلى اختلاف القائلين (أي الانتحال) أما "ابن قتيبة" فإنه ذهب إلى التعليل النفسي ٠

ولعله كان في هذا أدق فهماً للطبيعة الإنسانية من صاحبيه فالشاعر الذي يقول بدافع الرجاء والوفاء يعتمد التفاوت في شعره على تفاوت قوة الدافعين لديه [1]

(١) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب د إحسان عباس صـ ١١١

وقد أحسن التعليل لذلك حينما علل لجودة شعر "الكميت" في بني أمية، مع حبه للطالبيين من آل البيت قائلا : ولا أرى علة ذلك إلا قوة أسباب الطمع.

٨- الطبع وفنون الشعر

ويسلك "ابن قتيبة" مسلكا آخر في رؤيته لتفاوت الشعراء في تناولهم لفنون الشعر فيرى أن شاعرية الشاعر قد تفتن وتتفوق في غرض دون غرض ؛لأن الطاقة الشعرية ليست سواء عندهم، والينبوع الشعري ليس واحدا فيقول : (والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المديح، ويعسر عليه الهجاء. ومنهم من يتيسر له المراثي، ويتعذر عليه الغزل، قيل للعجاج : إنك لا تحسن الهجاء؟ فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم؟)[١] وينكر "ابن قتيبة" ما اعترض به "العجاج" من أنه بمقدوره أن يجيد في الهجاء لولا أن هناك قيوداً من القيم تمنعه، وتحول بينه وبين ذلك ٠٠٠ فيقول (وليس هذا كما ذكر العجاج، ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل ؛ لأن المديح بناءٌ والهجاء بناءٌ، وليس كل بانٍ يضربٍ بانياً بغيره. ونحن نجد هذا بعينه في أشعارهم كثيراً، فهذا " ذو الرمة" أحسن الناس تشبيهاً، وأجودهم تشبيباً، وأوصفهم لرمل وهاجرةٍ، وفلاةٍ وماءٍ، وقرادٍ، وحيةٍ، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع. وذاك أخره عن الفحول فقالوا: في شعره أبعار غزلانٍ ونقط عروسٍ! وكان "الفرزدق" زير[٢] نساءٍ وصاحب غزل، وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب. وكان جريرٌ عفيفاً عزهاةً[٣] عن النساء، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيباً، وكان الفرزدق يقول: ما

(١) الشعر والشعراء صـ ٣٢
(٢) زير نساء : أي يكثر زيارة النساء
(٣) عزهاة : عفيفا

أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره لما ترون)[1]

ونحن لا نسلم "لابن قتيبة" بهذه الرؤية تسليما مطلقا ؛ ذلك لأن الشعر بوجه عام يعتمد على ركائز ودوافع لا بد من توفرها قبل نظمه منها : الرغبة، والرهبة، والطرب والغضب فمع الرغبة يكون المديح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون النسيب والغزل، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد، كما أن هناك دوافع نفسية أخرى هي التي تسوق الشاعر وتدفعه في كثير من الأحيان ٠

فمن أراد المديح فبالرغبة فإذا لم يكن له دافع من الرغبة سقط مديحه، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء فمن أراد الهجاء وليس بين حناياه شيء من الكره والبغضاء سقط هجاؤه، وكذلك من أراد النسيب وليس في قلبه شيء من العشق سقط نسيبه [2] فمتى غابت هذه الدوافع، أو قلت تأثر شعر الشاعر وعسر عليه نظمه، ومرد ذلك كله إلى رغبة الشاعر ودوافعه، وإلا كيف نفسر ما شهر به "الحطيئة" من الهجاء[3] ، فقد كان ذا رغبة مسعورة فيه، فهجا من أعطاه، ومن منعه، كماهجا أباه، وهجا أمه، بل إن نفسه لم تسلم أيضا من هجائه، في الوقت الذي كان يجيد فيه المديح أيضا [4] فهل

---

(١) الشعر والشعراء صـ ٤٠

(٢) ينظر العمدة لابن رشيق جـ ١ صـ ١٠٣، ١٠٥

(٣) لم يكن الحطيئة راغبا في العطاء فحسب بل كان جشعا سؤ ولا ملحفا، وكانت قريش تخاف هجاءه، وترصد له العطايا خوفا من شره، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ ٢ صـ ١٥٥ تحقيق ا / سمير جابر ط ٢ دار الفكر العربي بيروت لبنان د / ت

(٤) وكان إذا مدح أحسن المديح أيضا، كما قال ابن عيينة سمعت ابن شبرمة يقول : أنا والله أعلم بجيد الشعر، لقد أحسن الحطيئة حيث يقول :-

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البُنَى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وفي مديحه لبني جعفر بن زيد مناة بن تميم الملقب بأنف الناقة ما يدل على ذلك، فقد كان لقبا يذمون به إلى أن مدحهم بقوله :-

قوم هم الأنف والأذنابُ غيْرُهَم ومن يسوِّي بأنف الناقة الذَّنبا

فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا، الأغاني جـ ٢ صـ ١٧٣

يعقل أن يكون كل ذلك إلا بدافع من النقمة والغضب على نفسه، وعلى من حوله، في حال الهجاء، وبدافع من الطمع والرغبة في العطاء عند المديح ٠

٩- وحدة القصيدة ٠

لا يكاد القارئ لكتاب الشعر والشعراء يمضي في تتبعه وقراءته حتى يتبين له أن " ابن قتيبة" أثار عدة قضايا لم تأخذ دورها على مسرح النقد العربي إلا في العصور المتأخرة، ومن بينها عصرنا الحديث، ومن أهم هذه القضايا :

الوحدة في القصيدة

حيث اهتم النقاد المحدثون(١) بضرورة وجود هذه الوحدة، وذلك حين نظروا في الموروث الشعري فوجدوا أن القصيدة - الطويلة بشكل خاص – كانت معرضاً لتفنن الشاعر، فهو قد يفتتحها بالغزل أو بالوقوف على الأطلال، ويتحدث عن مناحي فتوته من حب للصيد، وركوب للخيل،

(١) من القضايا الأدبية التي تردد صداها في مطلع القرن العشرين عند معظم الشعراء والأدباء ممن تثقف منهم بالثقافة الغربية قضية "وحدة القصيدة" فقد جعلها "مطران" أساسا من أسس مذهبه في تجديد الشعر، وجعل لها مفهوما محددا لا ينظر من خلاله إلى جمال البيت المفرد، بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه، وإلى جملة القصيدة في تركيبها، كما جعلها" شكري" تكمن في الصلة التي بين معنى البيت، وبين موضوع القصيدة، وجعلها "المازني " تكمن في المشاعر التي تلائم بين عناصر القصيدة وأفكارها، وتربط بينها في تسلسل يساوق بين هذه العناصر، أما "العقاد" فكان أكثر أدباء مدرسة الديوان حديثا عن الوحدة واهتماما بها، حيث يرى أن القصيدة يجب أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ٠٠٠
ينظر مقدمة ديوان الخليل لخليل مطران جـ ١ صـ ٩ مطبعة دار الهلال ١٩٤٩ م و ديوان عبد الرحمن شكري صـ ٣٦٦ ط ١ دار المعارف بالإسكندرية ١٩٦٠ م، والنقد والنقاد المعاصرون د / محمد مندور صـ ١١٢ مطبعة نهضة مصر د / ت

وانتهاب للذات، ثم يمدح، أو يعاتب أو يتحدث في أي قضية أخرى، ثم يختم القصيدة ببعض أبيات في الحكمة أو ما شابه ذلك . [١]

وقد أدرك "ابن قتيبة" ذلك وسجله بنفسه مضيفا إليه أن الشاعر ما شرع في كل هذه الفنون أو الأغراض، وما سلك سبيلها إلا لغاية يسعى لإدراكها وذلك حين قال :

(إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ؛ ليميل نحوه القلوب ؛ ويصرف إليه الوجوه ؛ وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر وسرى الليل، وحر الهجير وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة، وهزه على السماح ، وفضله على الأشباه، وصغر في قدره الجزيل) [٢]

فالقصيدة كانت حينئذ تسمح بتعدد الموضوعات في داخلها. ولم يستطع النقاد أن يتنكروا لهذا الموروث، ولهذا كان جل حديثهم عن الوحدة إنما يتم من خلال هذا التعدد أي كيف تمثل القصيدة وحدة رغم ذلك التعدد ؟

فأشار "الجاحظ" إلى تلاحم الأجزاء فقال: (إن أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا) [٣]

(١) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / إحسان عباس جـ ١ صـ ٢٦

(٢) الشعر والشعراء صـ ٢٧، ٢٨

(٣) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ صـ ٦٧

فالقصيدة عنده ذات أجزاء، ومفهوم تحقق الوحدة عنده يرجع إلى اتصال هذه الأجزاء وتلاحمها، مع سهولة مخارجها، وجودة تأليفها ٠

بينما رأى "ابن طبا طبا " (أنه ينبغي على الشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بين أبياتها لتنتظم له معانيها) [١]

فهو يرجع مفهوم الوحدة إلى حسن تأليف الشعر، وتنسيق الشاعر بين أبياته بحيث لا يقدم ما يجب تأخيره، ولا يؤخر ما يجب تقديمه، مع مراعاة حسن تجاور هذه الأبيات، لئلا يحدث بينها تنافر في المعنى ٠

أما صاحب "العمدة" فيرى أن دواعي الوحدة مردها إلى الوصل بين أغراض القصيدة الواحدة، فلا ينفصل غرض عن آخر، إذ يقول (من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجا بما بعده من مدح أو ذم متصل به غير منفصل عنه ٠٠٠٠٠) [٢] وهنا يضيف "ابن رشيق" إلى مفهوم الوحدة معنى جديدا هو الربط بين الأغراض، وحسن التخلص من غرض إلى غرض ٠

هذه مجمل آراء القدماء ممن عاصروا "ابن قتيبة" وممن أتوا بعده إلى نهاية القرن الخامس الهجري [٣] وهي آراء تشير في جملتها إلى تقارب رؤيتهم في فهمهم لطبيعة هذه الوحدة وتفسيرهم لها، لهذا يمكن أن يقال أن نقاد العرب عالجوا قضية الوحدة من خلال التعدد في كل العصور، خضوعاً للنموذج الشعري الموروث، ولم يهتموا بأنواع أخرى من الوحدة، كالوحدة النفسية عند الشاعر، أو الوحدة الصورية، أو الوحدة العضوية، ولم يخرج تصورهم لها عن صورة التكامل والتناسب معاً؛ وكانت أقصى درجات

---

(١) عيار الشعر لمحمد بن طبا طبا العلوي صـ ١٢٤ تحقيق د / طه الحاجري، د / محمد زغلول سلام– المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٦

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده جـ ١ صـ ١١٧

(٣) حيث توفى الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ، وتوفى ابن طبا طبا سنة ٣٢٤، وتوفى ابن رشيق سنة ٤٥٦ هـ ٠

التعبير عن هذا النوع من الوحدة هي الإشارة إلى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى هي علاقة الجسد بالروح. [١]

وذهب "ابن قتيبة" إلى الأخذ بمبدأ الوحدة النفسية عند المتلقي، أي قدرة الشاعر على جذب انتباه السامع أولاً ليضعه في جو نفسي قابل لتلقي ما يجيء بعد ذلك ؛ إيمانا منه بأن بناء القصيدة على هذه المقدمات إنما كانت تستدعيه الرغبة في لفت الانتباه وإشراك السامعين في عاطفة الشاعر، وهي عاطفة تسهل المشاركة فيها لأنها قريبة إلى القلوب جميعاً؛ كما يرى أن مبنى القصيدة لابد أن يظل متناسب الأجزاء معتدل الأقسام فلا يطيل في قسم منها فيمل السامعين، ولا يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد [٢] وهذا قد لا يثبت للقصيدة نفسها وحدة، إذ قد تكون الموضوعات فيها متباعدة حتى في الجو النفسي العام لدى الشاعر، كما وقف عند وحدة داخلية تتمثل في التكافؤ بين الألفاظ والمعاني، أي أن تكون الألفاظ ذات مستوى تأليفي واحد، وأن يجيد الشاعر الربط بين كل بيت وما يليه، فإذا فقد الترابط المعنوي جاء الشعر متكلفاً فقال : (وتتبين التكلف في الشعر أيضاً بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره ومضموماً إلى غير لفقه [٣] ولذلك قال عمر بن لجإٍ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، قال: وبم ذلك؟ فقال: لأني أقول البيت وأخاه، ولأنك تقول البيت وابن عمه) [٤] يريد ألا يكون هناك تفاوتا في شعر الشاعر بل يجب أن يكون على مستوى واحد في نسجه ونظمه، وأن تصاغ أجزاء القصيدة صياغة مترابطة .

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب جـ ١ صـ ٢٧
(٢) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / إحسان عباس صـ ٢٦
(٣) اللفق : على التشبيه يقال لفق الثوب : إذا ضم أحد الشقتين إلى الأخرى وخاطهما، وكلام لفق إذا ضم إلى نظيره المعجم الوسيط جـ ٢ صـ ٩٦٦
(٤) الشعر والشعراء صـ ٣٦

فهو يشير إلى وجوب أن توجد وحدة ما في القصيدة مشيرا إلي هذه الوحدة إن لم يكن باسمها فبمضمونها ومعناها، ولذا استشهد بقول "عبد الله بن سالم" لرؤبة " حينما قال له : (مت يا أبا الجحاف إذا شئت ! فقال رؤبة: وكيف ذلك ؟ فقال : رأيت اليوم ابنك "عقبة" ينشد شعرا له أعجبني ! قال رؤبة : نعم، ولكن ليس لشعره قِران يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه) [١]

١٠- دوافع اختيار الشعر وحفظه

يرى "ابن قتيبة" أن للشعر دوافع وأسباب تؤهله لاختيار المتذوقين له وتعلقهم به، وحفظه، فليس كل الشعر يختار ويحفظ على الإجادة في لفظه ومعناه فحسب ولكنه يختار ويحفظ على أسباب منها : الإصابة في التشبيه، أو لأن صاحبه لم يقل غيره أو لنبل قائله وسموه، أو لقرب معناه، وغير ذلك، فيقول :

(وليس كل شعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى، ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها:-

الإصابة في التشبيه، كقول القائل في وصف القمر:- [٢]

بَدَأَنَ بنا وابْنُ اللَّيَالي كَـــأَنَّهُ حُسَامٌ جَلَتْ عَنْـهُ القُيُونُ صَقِيلُ [٣]
فما زِلْتُ أُفْنى كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ إلى أَنْ أَتَتْكَ العيسُ وهْوَ ضَئِيلُ [٤]

غير أنه لم يبين لنا أمارات التشبيه المصيب وهي كثيرة، وهل ترجع الإصابة فيه لقرب المشابهة بين الطرفين من جهة واحدة، أو من جهات متعددة ؟ أم لتقريب البعيد وخروج الخفي إلى الواضح، والملتبس إلى

(١) السابق صـ ٣٧
(٢) الشعر والشعراء صـ ٣٣
(٣) القيون : جمع قين، وهو الحداد
(٤) العيس : الأبل

المبين؟ أم لتقريب صورة المشبه من ذهن السامع وإيضاحها له ؟ [١] فهذه كلها أمور تحقق الإصابة في التشبيه [٢] .

فقد شبه القمر "ابن الليالي" بالسيف المصقول دقة وبريقا ولمعانا مستخدما أداة التشبيه "كأن" التي تستعمل حين يقوى الشبه بين الشيئين، واشتمال البيت على صورة حسية قوية ترتكز إلى حاسة البصر، وهي انعكاس لما رأى الشاعر أو شاهد فضلا عن جمع الشاعر فيها بين المتباعدين "القمر " وموطنه السماء و"الحسام" ومستقره الأرض في يد الفرسان ثم ما أضافه الشاعر من تفصيل رائع في البيت الثاني " أفني كل يوم شبابه" تشبيها لمراحل القمر بعمر الإنسان الذي تنتهبه الأيام نهبا وتأتي عليه حتى تضعفه وتفنيه، وهي صورة يعكس من خلالها وجه القمر اللامع في صورة الحسام المصقول، وانحداره نحو المحاق بعمر الإنسان ٠

وكقول الآخر في مغن:-

كَأَنَّ أَبَا الشُّمُوس إِذَا تَغَنَّى يُحَاكي عَاطِساً في عَيْنِ شَمْسِ
يَلُوكُ بلَحْيِهِ طَوْراً وطَوْراً كَأَنَّ بلَحْيِهِ ضَرَبَانَ ضِرْسِ [٣]

وقد يختار ويحفظ **على خفة الروى** [٤] كقول الشاعر:-

ولَو أُرْسِلْتُ مِنْ حُب م كِ مَبْهُوتاً مِنَ الصِّينْ
لَوَافَيْتُكِ قَبْلَ الصُّب م حِ أَوْ حِيـــنَ تُصَلِّينْ

---

(١) ينظر العمدة لابن رشيق جـ ١ صـ ٢٣٧، ٢٣٨

(٢) زعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد وأنشد في ذلك قول "امرئ القيس" في وصف الفرس، وهو عنده أفضل التشبيه كافة :-

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

العمدة جـ ١ صـ ٢٤٠

(٣) يلوك بلحيه : يحركه، وضربان الضرس : ألمه

(٤) كثيرا ما يخلط بين الروي والقافية، أما الروي فحرف تبنى عليه القصيدة كما سبق وأما القافية في اصطلاح العروضيين فهي آخر البيت سواء أكانت الكلمة الأخيرة، أو بعضها، أو الكلمة الأخيرة مع غيرها موسيقى الشعر د إبراهيم أنيس صـ ٢١٤ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨ م

وكان "الأصمعي "يتمثل بهذا كثيراً ويقول: المبهوت من الطير الذي يرسل من بعد قبل أن يدرج[١]

والروي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ويتكرر بتكرار الأبيات، وقد تنسب القصيدة إليه فيقال : لامية، أو ميمية، أو رائية، أو عينية، وفائدته أنه يحفظ للقصيدة وحدتها الموسيقية بتكراره آخر كل بيت، وبه مع سائر القافية والوزن يبرز العنصر الموسيقي الذي هو أظهر خصائص الشعر [٢]

غير أنه لم يحدثنا عن أسرار خفة الروي، لماذا خف ؟ وما مقاييس هذه الخفة أو شروطها ؟ وهل يستجاد مثل هذا الروي مع شعر الغزل ؟ ولا يتناسب مع الفخر مثلا ؟ مع أن العروضيين أنفسهم لم يقطعوا في هذا الأمر برأي حاسم، بل تركوا حرية اختيار الروي لذوق الشاعر وطبعه، فلم يحددوا رويا بعينه ليختص بباب من الأبواب أو يجود في فن من الفنون، وإن كان واقع الأمر يشير إلى أن هناك رويا يجود في مكان دون غيره، ويصلح في موضع لا يصلح فيه سواه، فروي "القاف" يجود في الشدة والحرب "والدال" في الفخر والحماسة " والميم واللام" في الوصف والخبر " والباء والراء " في الغزل والنسيب، وإن كانت هذه أقوال على سبيل التقريب والإجمال وليست من باب الفرض أو الإلزام [٣]

وقد يختار ويحفظ **لأن قائله لم يقل غيره، أو لأن شعره قليلٌ عزيز**، كقول عبد الله بن أبي بن سلولٍ المنافق :- [٤]

---

(١) الشعر والشعراء صـ ٣٤

(٢) ينظر موسيقى الشعر د / إبراهيم أنيس صـ ٢٤٦

(٣) ينظر أصول النقد الأدبي د / أحمد الشايب صـ ٣٢٥ ط ٨ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣ م

(٤) الشعر والشعراء ٣٤

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلاَكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ تَذِلُّ ويَعْلُـوكَ الّـذِينَ تُصَـارِعُ
وهلْ ينْهَضُ البَازِي بَغْيرِ جَنَاحِهِ وإنْ قُصَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

فابن سلول لم يشتهر بالشعر، و لا نكاد نعرف له شعرا آخر ٠

وقد يختار ويحفظ **لأنه غريبٌ في معناه**، كقول القائل في الفتى:- (١)

لَيَس الفَتَى بفتًى لا يُسْتَضَاءُ بِهِ ولا يكُونُ له في الأَرْضِ آثَارُ

وكقول آخر في مجوسي:-

شهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيب المُشَاشِ وأَنّـكَ بَحْـرٌ جَوَادٌ خِضَمْ(٢)
وأَنَّكَ سَيِّـدُ أَهْـلِ الجَحِـيمِ إذَا مَـا تَرَدَّيْتَ فِيـمَنْ ظَـلَمْ
قَريـنٌ لِهَامَـانَ في قَعْـرِهَا وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنى بالحَـكَمْ

وقد يختار ويحفظ أيضاً **لنبل قائله**، كقول المهدي:- (٣)

تُفَّاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفّاحَـةِ جَـاءَتْ فماذا صَنَعَتْ بالفُؤادْ
واللهِ ما أَدْرِي أَأَبْصَرْتُها يَقْظَانَ أَمْ أَبْصَرْتُهَا في الرُّقَادْ

---

(١) السابق صـ ٣٤

(٢) المشاش : يقال فلان طيب المشاش : كريم النفس، والأصل، والطبيعة، المعجم الوسيط جـ ٢ صـ ٩٠٦

(٣) المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة ست وعشرين، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية تأدب وجالس العلماء، وكان له شعر غير قليل، ومن شعره ما أنشده الصولي :

ما يكف الناس عنا ما يمل الناس منا
إنما همتهم أن ينبشوا ما قد دفنا

تاريخ الخلفاء تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ج١/صـ ٢٧٥، ٢٧٦ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ١مطبعة السعادة مصر ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م

وكقول الرشيد:- [1]

النَّفْسُ تَطْمَعُ والأَسْبَابٌ عاجِزَةٌ والَّنْفسُ تَهْلِكُ بَيْنَ اليَأْسِ والطَّمعِ

وكقول المأمون[2] في رسول:-

بعَثْتُـكَ مُشْتَـــاقاً فَفُـزْتَ بِنَظْرَةٍ وأَغْفَلْتَني حـــتَّى أَسَـــأْتُ بِكَ الظَّنَّا
ونَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَى وكُنْـتَ مُقَرَّباً فَيَالَيْتَ شِعْرِي عَــنْ دُنُوِّكَ ما أَغْنَى

---

(١) الرشيد هارون أبو جعفر بن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله بن العباس، كان من اجل ملوك الدنيا، وكان فصيحا له نظر في العلم والأدب، يحب العلم وأهله، ويعظم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص، وكان له بصر بالشعر، حج سنة ولى الخلافة فدخل دارا فإذا في صدر بيت منها بيت شعر قد كتب على حائط :-

ألا أمير المؤمنين أما ترى فديتك هجران الحبيب كبيرا

فدعا بدواة وكتب تحته بخطه :-

بلى والهدايا المشعرات وما مشى بمكة مرفوع الأظل حسيرا

كان فهمه فهم العلماء، وكان محبا للأدب أخرج عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال حلف الرشيد أن لا يدخل إلى جارية له أياما وكان يحبها فمضت الأيام ولم تسترضه فقال:-

صدر عنى إذ رآنى مفتتن وأطال الصبر لما أن فطن
كان مملوكى فأضحى مالكى إن هذا من أعاجيب الزمن

تاريخ الخلفاء جـ ١صـ ٢٨٤، ٢٩٢

(٢) المأمون عبد الله أبو العباس بن الرشيد ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول وهى الليلة التى مات فيها

الهادى، وأمه أم ولد اسمها"مراجل" ماتت في نفاسها به، قرأ العلم في صغره، و سمع الحديث من أبيه وعباد ابن

العوام، ويوسف بن عطية ، كان المأمون يقول الشعر فكتب أبياتا فقرأها "الرشيد" فسُر بها ووقع فيها : يا بنى ما أنت

والشعر ! إنما الشعر ارفع حالات الدنى، وأقل حالات السرى، تقدى أى استمر واخرج، وكان المأمون يقول : قبح الله من لا أدب له ومن شعره :-

لسانى كتوم لأسراركم ودمعى نموم لسرى مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى ولولا الهوى لم يكن لى دموع

تاريخ الخلفاء ج١/ص٣٢٨

ورَدَّدْتَ طَرْفاً في مَحَاسِنِ وجْهِهَا ومَتَّعْـتَ باسْتمـــاعِ نَغْمتِهَا أَذُنَا
أَرَى أَثَراً مِنْـــها بِعَيْنَيْكَ لَمْ يَكُنْ لقد سَرقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ وجْهِهَا حُسْنَا

وكقول عبد الله بن طاهر:-

أَمِيلٌ مَعَ الذَّمَامِ على ابْنِ عَمِّى وأَحْمِلُ لِلصَّدِيقِ على الشَّقِيق
وإنْ أَلْفَيْتَنِي مَلِـكاً مُطَـاعـاً فـــإِنَّكَ واجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أُفَـرِّقُ بَيْـنَ مَعْـرُوفِي ومَنِّى وأَجْمَـــعُ بَيْنَ مَالي والحُقُوقِ

وهذا الشعر شريفٌ بنفسه وبصاحبه. (١)

وهكذا أبان "ابن قتيبة" عن أن الشعر يختار ويحفظ لدوافع وأسباب أخرى غير جودة لفظه ومعناه، كالإصابة في التشبيه، أودقة التصوير، أو جمال اللغة، أو خفة الروي، أو طرافة المعنى المستغرب، أو لأسباب أخرى خارجية كأن يكون صاحبه مقلا، أو عظيما في المكانة، أو الموقع الاجتماعي، وهذه أشياء نرى لا تحدد جودة الشعر في الواقع، ولا دوافع اختياره وحفظه، وإنما تحدد أسباب الرواية له، أو الاستحسان لبعض صوره و ألوانه ٠

١١ - قضية اللفظ والمعنى

تحتل قضية اللفظ والمعنى في النقد العربي أهمية خاصة، ذلك أنها وإن نوقشت في الآداب القديمة (٢) إلا أنها لم تحظ بالاهتمام الزائد بها قدر ما حظيت به في النقد العربي ؛ لأن الأدب العربي يهتم في لغته باللفظ والتأنق فيه تأنقا شديدا، يبلغ به حد المبالغة أحيانا ؛ ولأن النقد العربي وضع للفظ شروطا خاصة حتى يكون فصيحا، فلا يكون اللفظ فصيحا حتى تتوافر فيه هذه الشروط ٠

(١) الشعر والشعراء صـ ٣٥

(٢) نوقشت هذه القضية في الأدب اليوناني القديم فقد تعرض لها أفلاطون وأرسطو وكان البحث فيها جزءا من مباحث علم الجمال، ينظر المدخل إلى النقد الأدبي الحديث صـ٣٨

هذا الاهتمام الزائد في الأدب العربي والنقد العربي باللفظ، ثم المبالغة في ذلك أحيانا، جعل بالضرورة بعض النقاد يأخذون موقفا معارضا منه فيرون أن المعنى هو الأهم، ثم جعل البعض يسوون بينهما في الأهمية فيرون أن كلا من اللفظ والمعنى مهم بنفس القدر، ثم جعل البعض يرى كذلك أن المعول على النظم، وتأليف الكلام لا على اللفظ وحده، ولا المعنى مستقلا عن اللفظ [1].

وهذه القضية عند "ابن قتيبة" لها ركنان أساسيان هما **(اللفظ - المعنى)** ومميزان أساسيان أيضا هما **(الجودة - الرداءة)** .

وهو بهذا التقسيم – كما نرى - لم يستطع أن يتخلص من سيطرة النظرة المنطقية الفلسفية على الشعر، أو يتجرد من سلطان العقل والنزعة التقريرية في تناوله للشعر وتحديد قيمته [2]

فقد وجد أن للشعر أربعة أضرب،لا تسمح العلاقة المنطقية- في نظره- بأكثر منها:-

(أ) لفظ جيد ومعنى جيد .

(ب) لفظ جيد ومعنى رديء .

(ج) لفظ رديء ومعنى جيد .

(د) لفظ رديء ومعنى رديء .

وقد استعملنا هنا لفظتي " الجودة والرداءة " وإن كان "ابن قتيبة" لم يستعملهما وإنما استعمل في القسم الأول :

ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وفي القسم الثاني : ضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، وفي القسم الثالث : ضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، وفي القسم الرابع : ضرب تأخر معناه، وتأخر لفظه، وذلك حين قال : (تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:

(١) ينظر في النقد الأدبي د / محمود علي السمان صـ ١١٩ طبع مكتبة الرسالة د / ت

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / إحسان عباس صـ ٩٦

١ – ضرب منه حسُن لفظُه وجاد معناه، كقول القائل :- [١]

في كَفِّهِ خَيْــزُرَانٌ رِيحُــهُ عَبِــقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شمَمُ [٢]

يغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَما يُكــلَّمُ إلا حِيــنَ يَبْتَسِــمُ [٣]

لم يقل في الهيبة شيءٌ أحسن منه) [٤]

وكقول أوس بن حجر : - [٥]

أيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِى جَزَعَا إنَّ الَّذِي تَحْذرِينَ قَدْ وَقَعَا [٦]

لم يبتدى أحدٌ مرثيةٌ بأحسن من هذا.

وكقول أبي ذؤيب الهذلي :- [٧]

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إذَا رَغَّبْتَهَا وإذَا تُرَد إلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قال حدثني الرياشي عن الأصمعي، قال: هذا أبدع بيت قالته العرب، وكقول حُمَيد بن ثورٍ الهلالي :- [٨]

أَرَى بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا [٩]

---

(١) هذان البيتان " للفرزدق " من قصيدة طويلة يمدح بها "علي زين العابدين بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب" رضي الله عنهم جميعا، ومطلعها:–

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

(٢) الأروع : الذي يعجبك حسنه من الرجال، والعِرنين : الأنف، والشمم : الإباء والشرف

(٣) الإغضاء : إدناء الجفون، وإطراق البصر أرضا من الحياء

(٤) الشعر والشعراء صـ ٢١

(٥) ديوان أوس بن حجر تحقيق د / محمد يوسف نجم صـ ٥٣

(٦) أجملي : الزمي تجملك

(٧) البيت في المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط ٧ – ١٢٦ / ٤٢٢ طبع دار المعارف د / ت

(٨) البيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي تحقيق د / محمد يوسف نجم صـ ٩٠ ط ١ دار صادر بيروت لبنان ١٩٩٥ م

(٩) رابني : خانني بعد ضعفه

لم يقل في الكبر شيءٌ أحسن منه، وكقول النابغة:- [١]

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِب [٢]

لم يبتدئ أحدٌ من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب.

ومثل هذا في الشعر كثيرٌ، ليس للإطالة به في هذا الموضع وجهٌ.

٢ - وضربٌ منه حسُن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، كقول القائل:- [٣]

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَـــةٍ ومَسَّحَ بِالأَرْكانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارِى رِحَالُنَا ولا يَنْظُرُ الغَادِي الذي هُوَ رَائحُ [٤]
أَخَذْنَا بِأَطْـرافِ الأَحَـــادِيثِ بَيْنَنَا وسَالَتْ بِـأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ [٥]

ثم قال معلقا على هذه الأبيات. (فهذه الألفاظ كما ترى أحسن شيءٍ مخارج ومطالع ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء [٦] ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح) [٧] وهذا الصنف في الشعر كثيرٌ.

وواضح أن ما يعزوه "ابن قتيبة" من حسن الألفاظ ليس إلا تكوينها الصوتي والموسيقي، وما يكون بينها من إيقاع حسن، أو من تلاؤم في

(١) البيت في ديوان النابغة الذبياني تحقيق ا / محمد أبو الفضل إبراهيم صـ ٤٠ ط ٣ دار المعارف د / ت
(٢) كليني : دعيني، وناصب : متعب
(٣) الشعر والشعراء صـ ٢٢، والأبيات قالها الشريف الرضي، وتروى للمعلوط السعدي
(٤) المهارى : الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، حي من أحياء العرب
(٥) الأباطح : جمع أبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى
(٦) الأنضاء : جمع نضو، وهي الدابة التي أهزلتها الأسفار، وأذهبت لحمها
(٧) الشعر والشعراء صـ ٢٢

المخارج والمطالع والمقاطع، وكأن كل ما ينتسب للفظ عنده إنما هو وقع الكلمات في الأذن، وحسن تأثيرها على السمع، مرتئيا أن هذا منفصل عن المعنى تماما، والشعر لا يعتبر ذا معنى عنده إلا إذا اشتمل على حكمة، أو فكرة فلسفية،أو معنى أخلاقي، أما ما عدا هذا من مجرد التصوير لحالة نفسية أو التعبير عن موقف إنساني فلا يعد عنده معنى[١]

ومع تحفظنا على هذه النظرة نرى أنه عني بهذا الضرب من نقد المعنى حرصا منه على الإتيان بالمعاني الحسنة، والحكم الرائعة، والأمثال السائرة، لافتا أنظار الشعراء إلى ما قد يكون في أشعارهم من معان عادية ساذجة لا تهز السامعين ولا تتحرك لها مشاعرهم ٠

وفي هذا الاتجاه سار كثير من النقاد بعد "ابن قتيبة" فقد أورد "المرزباني" في الموشح صورا من هذا النقد، من ذلك نقد المعاني العادية التي تضمنها بعض شعر "أبي العتاهية" وقد طلب منه "الفضل بن الربيع" أن يرثي "سعيد بن وهب" في أمانته ونزاهته، فرثاه بعد أيام بأبيات منها :- [٢]

مَاتَ واللهِ سعيدُ بنُ وهْبِ رَحِمَ اللهُ سعيدَ بنَ وَهْب
يَا أبَا عُثمانَ أبكيْتَ عيْنِي يا أبَا عُثْمانَ أوْجَعْتَ قَلْبِي

حيث قال الفضل منتقدا "أبا العتاهية" في هذا المعنى الساذج : (وأبو العتاهية بأن يُرثَى في حياته أولى من سعيد بعد موته) [٣] ونصوا هو وغيره من النقاد على نقد تلك المعاني الساذجة صراحة بقولهم : (ليس كل من عقد وزنا بقافية فقد قال شعرا الشعر أبعد من ذلك مراما وأعز انتظاما)[٤]

---

(١) ينظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د / محمد زكي العشماوي صـ٢٥٧ طبع دار المعرفة الجامعية

(٢) الموشح للمرزباني صـ ٥٤٧

(٣) الموشح للمرزباني صـ ٥٤٧

(٤) السابق صـ ٤٠٠

ويسوق "ابن قتيبة" نموذجا آخر من هذا الضرب فيقول ونحوه قول جرير:- (١)

إنَّ الذين غَدَوْا بُلِّبـــكَ غادَرُوا وَشَلاً بِعَيْنِكَ مَـا يَزَالُ مَعِينَـا (٢)
غيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وقُلْنَ لي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى ولَقِينَا (٣)

ومـن المصـادفة الغريبـة أن يختـار "ابـن منـاذر " هـذين البيتـين "لجرير" على أنهما من خير شعره، فيروى عن صاحب "الأغاني" قوله : أخبرنـا محمد بـن القاسم الأنبـاري قـال: حـدثني أبـي عن ابـن عكرمـة عن مسعود بن بشر المازني قال : لقيت ابن مناذر بمكة فقلت له : من أشعر أهل الإسلام ؟ فقال أترى من إذا شئت هزل، وإذا شئت جد ! قلت : من ؟ قال : "جرير" حين يقول في النسيب :- (٤)

إنّ الذين غَـدوْا بلُبـّك غادروا وَشَلاً بعينك ما يــزال مَعِينا
غَيّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلْن لي ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا؟

ثم قال حين جد :- (٥)

إنّ الّذي حَرَم المَكــارِم تَغلِبـــاً جعل النُّبوّةَ والخلافةَ فينـا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يـا آل تَغلِبَ من أبٍ كأبِينـا
هذا ابنُ عمّي في دِمَشْق خليفـةٌ لو شئتُ ساقكُم إليّ قطِينا (٦)

---

(١) الشعر والشعراء صـ ٣٦

(٢) الوشل : الكثير من الدمع، والمعين : الجاري المتصبب

(٣) غيضن : أخفين وحبسن، وغاض الماء : غار

(٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ ٤ صـ ٦١

(٥) السابق جـ ٤ صـ ٦١

(٦) وفي هذا البيت من النقد الذي وجه لجرير ما كان أولى بابن قتيبة أن يشير إليه حيث علق عليه "يزيد بن عبد الملك" أو "الوليد" بقوله : أما ترون جهل جرير ؟ يقول لي : ابن عمي، ثم يقول : لو شئت ساقكم ! أما لو قال شاء ساقكم لأصاب ولعلي كنت أفعل، ويقال إن الوليد هو الذي قال تعليقا على ذلك : أما والله لو قال " لو شاء ساقكم لفعلت ذلك الموشح للمرزباني صـ ١٩٠، والقطين : العبيد والإماء

وقوله:- [1]

بَـــانَ الخَلِيطُ ولوْ طُوِّعْتُ ما بَانَا وقَطَعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أَقْرَانَـا
إِنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَّلْنَنَا ثُـمَّ لـم يُـحيينَ قَتْـلاَنَـا
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ بِهِ وهُـنَّ أَضْعَفُ خَلْـقِ اللهِ أَرْكانا

ولـيس الأمـر علـى إطلاقـه كمـا زعـم "ابـن قتيبـة" فبدراسـتنا لتلـك الشواهد التي تمثل بها لهذا الضرب نرى أنه لا يعتبر الشعر ذا معنـى إلا إذا اشتمل على حكمة، أو مثل، أو فكرة فلسفية، أو معنى أخلاقي، فبعد أن أطـال التفتيش في هذه الأبيات ولم يجد فيها أيا من هذه الأشياء اتهمها من أجل ذلك بالقصـور والعجـز فـي معناهـا، بينمـا أثنـى علـى جمـال اللفظ والمعنـى علـى السواء في بيت أبي ذؤيب :- [2]

والنَّفْس رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وإِذَا تُرَد إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وإذا تساءلنا لم صنع ذلك ؟ ولم كان هذا الثناء ؟ لم نجد جوابا سوى انطواء هذا البيت على الحكمة بأن النفس إنما ترغب في المزيد من الحزن والشجن إذا رغب المرء فيهما، وإن منعها وعدل بها إلى غير ذلك قنعت وامتنعت.

كما امتدح بيت "أوس بن حجر في قوله :- [3]

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِى جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذرِينَ قَدْ وَقَعَا

لأنـه يحمـل حقيقـة مـن حقـائق الـنفس والكـون، وهـي التسـليم المطلـق بحقيقة الموت وعجز الإنسان الكامل أمام قواه، وهيمنته على سائر الأحياء.
أما الضرب الثالث فهو على خلاف الثاني، فيقول :-

(١) الشعر والشعراء صـ ٢٣
(٢) المفضليات ١٢٦ / ٤٢٢
(٣) ديوان أوس بن حجر صـ ٥٣

٣- وضربٌ منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:-

ما عَاتَبَ المَرْءَ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

حيث قال معلقا عليه (فهذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق) [١] ونحن نظن أنه ما كان جيد المعنى في زعمه إلا لاشتماله على هذا المعنى الخلقي الذي يقول إن العتاب المنبعث عن الضمير الحي، والنفس الكريمة اللوامة هو العتاب النافع المجدي الذي يحمل صاحبه على الخير، وأن المرء يتأثر بجليسه في الإصلاح والغواية، فلينظر المرء من يجالس٠

وكقول النابغة للنعمان:-

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ [٢]

حيث قال تعليقا عليه : (رأيت علماءنا يستجيدون معناه، ولست أرى ألفاظه جياداً ولا مبينةً لمعناه، لأنه أراد: أنت في قدرتك على كخطاطيف عقفٍ يمد بها، وأنا كدلوٍ تمد بتلك الخطاطيف، وعلى أني أيضاً لست أرى المعنى جيداً) [٣] مع أنه أثنى على شعر "النابغة" وفضله على جميع الشعراء[٤]

---

(١) الشعر والشعراء صـ ٢٣

(٢) الخطاطيف : قطع من الحديد، والحجن : المعقوفة يعلق بها حبل أو دلو أو غيرهما، ونوازع : جوازب

(٣) الشعر والشعراء صـ ٢٣

(٤) ذكر "ابن قتيبة" في ترجمته "للنابغة" قول أبي عبيدة: من فضل النابغة على جميع الشعراء: أنه أوضحهم كلاماً، وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع، وأحسنهم مطالع، ولشعره ديباجةٌ، إن شئت قلت: ليس بشعرٍ مولفٍ من تأنقه ولينه، وإن شئت قلت: صخرةٌ لو رديت بها الجبال لأزالتها٠ الشعر والشعراء جـ ١ صـ ٢٨

ونحن مع "ابن قتيبة" في أن ألفاظه ليست واضحة في الدلالة على معناه، وإن كنا مع من استجاد معناه خلافا له، ففيه من الإقرار بالخضوع التام لممدوحه، وتسليمه
المطلق له ما فيه، كأنه يقول له أنا في قبضتك أيها الممدوح وطوع أمرك شئتُ أم أبيت وهومن نفس البئر التي امتاح منها النابغة بيته في اعتذاره " للنعمان" أيضا وهو قوله :-

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذي هو مُدْرِكِي وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنك واسِع

والذي أثنى عليه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أقبل عليه وفد غطفان، فسألهم: أي شعرائكم الذي يقول:-

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذي هو مُدْرِكِي وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنك واسِع

قالوا النابغة قال هو أشعر شعرائكم [1] ولو كان مختل الألفاظ ما أثنى عليه رضوان الله عليه، ويذكر من هذا الضرب أيضا قول الفرزدق :-

والشَّيْبُ يَنْهَضُ في الشَّبَاب كأَنَّه لَيـلٌ يَصِيحُ بجَانِبَيْهِ نَهَارُ

٤ ـ وضربٌ منه تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى في امرأةٍ:-

وفُوهـــا كَأَقَاحِيَّ غَـــذَاهُ دَائمُ الهَطْلِ[2]
كما شِيبَ برَاحٍ بَا رِد مِنْ عَسَل النَّحْل[3]

---

(١) الشعر والشعراء جـ ١ صـ ٢٣

(٢) الأقاحي : جمع الأقحوان، وهو نبت زهره أصفر أو أبيض وورقه مسنن كأسنان المنشار، ومنه البابونج، وكثر في الأدب العربي تشبيه الأسنان بالأبيض منه، جمعه أقاح، وأقاحي، قال البحتري :-

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو عن أقاح

المعجم الوسيط جـ ١ صـ ٢٢

(٣) شيب : مزج، والراح : الخمر

وكقوله:- [1]

إنَّ مَحَـلاً وإنَّ مُرْتَحَـــــلا وإنَّ في السَّفْرِ ما مَضَى مَهَلا
اسْتَأْثَرَ اللهُ بِالـــوَفَاءِ وَبِالْ حَمْـدِ وَوَلَّى المَلا مَةَ الرَّجُلا [2]
والأَرْضُ حَمَّالَةٌ لمَا حَمَّلَ الَّل هُ وَمَـا إنْ تَرُدُّ مـــــا فَعَلاَ
يَوْمـــاً تَرَاهَا كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ الْ عَصـــْب ويَـوْماً أَدِيمُهَا نَغِلاَ

حيث قال تعليقا عليه، وهذا الشعر منحولٌ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن إلا قوله:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ ولاَ يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفٍّ مَنْ بَخِلاَ

يريد أن كل شاربٍ يشرب بكفه، وهذا ليس ببخيل فيشرب بكف من بخل، وهو معنًى لطيف، وكقول الخليل بن أحمد العروضي:- [3]

إنَّ الخَليطَ تَصَـــدَّعْ فَطِرْ بِـــدَائِكَ أَوْقَعْ
لَوْلاَ جَوَارٍ حِسَـــانٌ حُورُ الْمَـدَامِعِ أَرْبَعْ
أُمُّ البَنِينَ وأَسْمَـــا ءُ والرَّبَابُ وبَوْزَعْ
لَقُلْتُ لِلرَّاحِلِ ارْحَلْ إِذَا بِـــدا لَكَ أَوْ دَعْ

وهذا الشعر بين التكلف رديء الصنعة وكذلك أشعار العلماء، ليس فيها شيءٌ جاء عن إسماحٍ وسهولة كشعر"الأصمعي" وشعر "ابن المقفع" وشعر "الخليل" خلا خلفٍ الأحمر، فإنه كان أجودهم طبعاً، وأكثرهم شعراً، ولو لم يكن في هذا الشعر إلا أم البنين، وبوزع لكفاه! فقد كان "جريرٌ" أنشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته التي أولها:-

---

(١) الشعر والشعراء صـ ٢٤

(٢) عاب النقاد "الأعشى" في استخدامه كلمة الرجل مكان الإنسان في هذا البيت حيث قالوا : إن الملامة تتجه للإنسان رجلا كان أم امرأة، ولا تخص الرجل وحده قائلين : إنه اجتلبها من أجل القافية ٠ الموشح للمرزباني صـ ٩١

(٣) الشعر والشعراء صـ ٢٤

بانَ الخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوَ كُلَّمَا جَدُّوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ
كَيْفَ العَزَاءُ ولم أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ قَلْباً يَقِرُّ ولا شَرَاباً يَنْقَعُ (١)

وهو يتحفز ويزحف من حسن الشعر، حتى إذا بلغ إلى قوله:

وتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى العَصَا هَلاَّ هَزِئْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوْزَعُ

قال له: أفسدت شعرك بهذا الاسم وفتر. (٢)

ونحن نلاحظ أن "ابن قتيبة" قد عاد للحديث مرة أخرى عن الطبع ودوافعه نافيا تحقق الطبع في شعر العلماء، مؤكدا على ظهور التكلف فيه، متخذا من شعر الخليل نموذجا للتدليل على أشعار العلماء البينة التكلف و مستثنيا في الوقت ذاته شعر "خلف الأحمر" من بينهم، معقبا على استحسانه لشعره بقوله إنه جيد الطبع ٠

وقد انقسم النقاد إزاء تقسيم "ابن قتيبة" السابق لهذه القضية إلى فريقين:

فريق يرى أنه ينتصر للفظ على المعنى ٠
وفريق يرى أنه ينتصر للمعنى على اللفظ ٠

ومع هذا الانقسام الواضح بين الفريقين نلاحظ عدة أمور من أهمها:-

أنه تصور لغة الشعر وارتبط مفهومها لديه بالنظرة المنطقية التي بدا من خلالها استقلال اللفظ عن المعنى، واستقلال المعنى عن اللفظ، قاصدا باللفظ الصياغة أو التعبير فحسب، مع أنه لم يبين لنا متى تكون الصياغة حسنة أو غير حسنة٠

أنه لم يستعمل تلك اللفظتين الحاسمتين في دلالتهما أعني: الجودة والرداءة مبتعدا عن الحدة التي قد تستشف من قولنا " جيد ورديء " مؤثرا

(١) السابق صـ ٢٤

(٢) ينظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د / محمد زكي العشماوي صـ ٢٥٩، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب د إحسان عباس صـ ١١١، والنقد الأدبي عند القاضي الجرجاني تحقيق د / عبد العزيز قلقيلة صـ ٧٢

التزامه بلفظتين أخريين هما: حُسْن اللفظ أو المعنى، وكانت المسألة عنده مسألة الصلة بينهم ٠

أنه علق جودة الشعر على مضمونه مستقلا عن الصياغة، فجعل الشعر الذي يخلو من مضمون أخلاقي، أو فلسفي، أو طرفة غريبة لا يعتبر شعرا ذا قيمة ٠[1]

أنه جعل للألفاظ دلالات مفردة أو مستقلة، ولم يفطن إلى أن الألفاظ في الشعر ليست أنغاما ومخارج ومقاطع فحسب، وإنما هي تتجاوز بإشعاعاتها حدودها اللغوية العادية، وتكتسب من الكلمات التي تليها معاني جديدة ما كانت لتكون لولا السياق الذي جمعها، والبناء الذي انتظمها ٠

كان المعنى الشعري عنده ينحصر في المحتوى الفكري، ومن هنا جاء مفهومه للمعنى محدودا وقاصرا، فليست معنى اللفظة في الشعر مجرد الموضوع المقابل لها بل يشمل جميع الارتباطات التي تبعثها اللفظة والاشعاعات التي تنبعث منها مفردة أو مجتمعة مع غيرها ٠

استمد "ابن قتيبة"حكمه من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة في الأكثر وعلى هذا فقضية " اللفظ والمعنى " عنده لم تتناول العمل الأدبي كله بحيث تتطور إلى ما نسميه " الشكل والمضمون" ولا هي استطاعت أن تقترب مما قد يسمى " الصلة الداخلية " بين هذين، ولعلها كانت ذات أثر بعيد في صرف النقد عن تبين وحدة الأثر الفني في مبناه الكلي، كما أنه لم يلتفت إلى عنصر مهم في الأدب وهو الوجدان والانفعال، أي العاطفة وما يتبعها من

(١) ينظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د / محمد زكي العشماوي صـ ٢٥٩، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب د إحسان عباس صـ ١١١، والنقد الأدبي عند القاضي الجرجاني تحقيق د / عبد العزيز قلقيلة صـ ٧٢

خيال، وهو لهذا يهمل جانب التصوير[١] بدليل انه لم يرق له هذا الشعر الجميل :- [٢]

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجـــــةٍ ومَسَّحَ بِالأَرْكـانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارِى رِحَالُنَا ولا يَنْظُرُ الغَادِي الذي هُوَ رَائحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرافِ الأَحَـــــادِيثِ بَيْنَنَا وسَالَتْ بِأَعْنَـاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

فهو يمثل به لما حسن لفظه وحلا فإن أنت فتشته لم تجد هناك طائلا ٠

١٢- عيوب الشعر ٠

لم يقصر "ابن قتيبة" إحساسه النقدي على النواحي الأسلوبية واللغوية بل امتد إحساسه إلى الوزن الموسيقي فعرض لقضية عيوب الشعر المتصلة بالقافية ومنها :-

١ – الإقواء والإكفاء ٠

فيقول : (و كان أبو عمرو بن العلاء يذكر أن الإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي وذلك أن تكون قافيةٌ مرفوعةً، وأخرى مخفوضةً، كقول النابغة:[٣]

قالتْ بَنُو عامِرٍ خَالُوا بَني أَسَدٍ يا بُؤْس للجَهْلِ ضَرَّاراً لأَقْوَامِ[٤]

وقال فيها:-

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ لاَ النُّورُ نُورٌ ولا الإظْلامُ إِظْلامُ [٥]

(١) الشعر والشعراء صـ ٢٢
(٢) الشعر والشعراء صـ ٤١
(٣) خالوا : من المخالاة وهي نقض العهد
(٤) الميم في أقوام مفتوحة، وفي إظلام مضمومة
(٥) ينظر قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم صـ ٢٧

وهو عيب يؤدي إلى تغيير في حركة المقطع الصوتي الذي تتطلب الأذن اطراده في حركة واحدة، بسبب اختلاف الإعراب في القوافي [١]

وبعض الناس يسمى هذا الإكفاء ويزعم أن الإقواء نقصان حرف من فاصلة البيت، كقول "حجل بن نضلة" حين أسر " النوار" بنت "عمرو ابن كلثوم" فقال :-

حَنَّتْ نَوَارُ ولاتَ هَنّـَا حَنَّتِ وبَدَا الّذِي كـانَتْ نَوَارُ أَجَنْتِ
لمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلاَ مَشْرُوباً والفَرْثَ يُعْصَرُ في الإنَاءِ أَرَنِّتِ [٥]

سمى إقواءً لأنه نقص من عروضه قوة، وكان يستوي البيت بأن تقول متشرباً. يقال : أقوى فلانٌ الحبل إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى، وهو حبلٌ قوٍ.

٢ ـ السناد: هو أن يختلف إرداف القوافي، كقولك عليْنا في قافيةٍ وفِينا في أخرى.

كقول عمرو بن كلثوم :- [٢] **أَلاَ هُبّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا** [٣]
فالحاء مكسورة، وقال في آخر:- **تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إذَا جَرَيْنَا**
فالراء مفتوحةٌ، وهي بمنزلة الحاء.

وكقول القائل:- **كَأَنَّ عُيُونَهُنَّ عُيُونُ عِين**
ثم قال:- [٤] **وأَصْبَحَ رَأسُهُ مِثْلَ اللُّجَيْنِ**

وقال الخليل : وسمي تغير ما قبل الروي سنادا من مساندة بيت إلى بيت، إذا كان كل واحد منهما ملقى على صاحبه ليس مستويا [٥]

---

(١) السلا : ما يكون فيه الجنين قبل الولادة، والفرث، من الفراثة : وهي بقايا الطعام في الكرش، أرنت : حنت

(٢) الشعر والشعراء صـ ٤٢

(٣) الصحن : القدح العظيم، والجمع الصحون

(٤) الشعر والشعراء صـ ٤٢

(٥) الموشح صـ ٢٦

٣ – الإيطاء : هو إعادة القافية مرتين، وليس بعيبٍ عندهم كغيره [١] وقال الخليل إن الإيطاء : هو إعادة كلمة الروي سواء اتحد معناها أم اختلف .[٢]

٤ -الإجازة : وقد اختلفوا فيها، فقال بعضهم: هو أن تكون القوافي مقيدةً فتختلف الأرداف، كقول امرىء القيس:- [٣] **لاَ يَدَّعي القَوْمُ أَنِّي أَفِرّ**

فكسر الردف، وقال في بيت آخر:- **وكِنْدَةُ حَوْلي جَميعاً صُبُرْ**

فضم الردف، وقال في بيتٍ آخر: أَلْحَقْتَ شَرّاً بِشَرْ، ففتح الردف.

وقال الخليل بن أحمد: هو أن تكون قافيةٌ ميماً، والأخرى نوناً، كقول القائل:[٤]

يا رُبَّ جعْد منهمُ لَوْ تَدْرِينْ يضربُ ضَرْبَ السَّبِطِ المَقادِيمْ [٥]

أو طاءً والأخرى دالاً، كقول الآخر:-

تَاللهِ لَوْلاَ شَيْخُنَـــا عَبَّادُ لَكَمَرْونا عِنْدَهَا أَوْ كَادُوا[٦]

فَرْشَطَ لَمَّا كُرِهَ الفِرشَاطُ بفيْشَةٍ كَـــأَنَّهَا مِلْطَاطُ [٧]

---

(١) مثل القول الشاعر، كما في الموشح صـ٢٧:–**وتخزيك يابن القين أيام دارم**
وقال فيها :– **وعمرو بن عمرو إذا دعا يالدارم**

(٢) الموشح صـ ١٨، ومن تكرار كلمة القافية مع اختلاف في المعنى، وهو معيب عندهم أيضا، قول الشاعر :–

ولو ذاقوا هوى العلم كما ذقت فنوا فيه
ألا يارب خداع من الناس تلاقيه
يعيب السم في الأفعى وكل السم في فيه

(٣) الشعر والشعراء صـ ٤٢

(٤) الشعر والشعراء صـ ٤٣

(٥) الجعد ة من الشعر خلاف السبط، أو القصير منه، والسبط : الطويل، والمقاديم : ريش مقدم الجناح

(٦) كمرونا : غلبونا

(٧) فرشط : قعد ففتح ما بين رجليه، والفيشة رأس الذكر، والملطاط : يد الرحى

وهذا إنما يكون في الحرفين يخرجان من مخرج واحدٍ أو مخرجين متقاربين.
قال ابن الأعربي: الإجازة: مأخوذة من إجازة الحبل والوتر. (١)

هذه هي أبرز العيوب التي أوردها "ابن قتيبة " وهي عيوب تتعلق بالجانب الموسيقي وتختص بآخر البيت غالبا، وقد ذكر جماعة من شعراء الإسلام (٢) ومن تبعهم في أشعارهم عدولهم عما أُنكر على من تقدمهم من هذه العيوب التي تقدم ذكرها.

فقال ذو الرمة :- **وشعر قد أرقت لـه طريف أجنبـــه المســـاند والمحالا**

وقال جرير :- **فلا إقواء إذ مرس القوافي بـأفـواه الرواة ولا سنادا**

وقال أبو تمام :- **شداد الأسر سالمة المناحي مـن الإقواء فيها والسنادا**

منزهة عن السرق المروي مكرمة عن المعنى المعادا

رابعا : ابن قتيبة ماله وما عليه .

كثيرة هي ومتنوعة تلك القضايا التي عرض لها "ابن قتيبة" في كتابه الشعر والشعراء وهي في مضمونها تنبئ عن فكر جديد، ورؤى مغايرة للنهج القديم الذي اعتمد الذوق مقياسا في مجال الدراسات النقدية، خاصة في المفاضلة بين بيت وبيت أو تمييز البيت المفرد، أو إرسال حكم عام في الترجيح بين شاعر وشاعر، في الوقت الذي التفت فيه إلى العوامل النفسية وأثرها في الجمهور، وبحث في الأدب بروح العلم دقة وتحديدا،

(١) الشعر والشعراء صـ ٤٣
(٢) الموشح صـ ١٦، ١٧

ورَجَعَ الشعر إلى عناصر، وحصر حالات كل عنصر، ووضع كثيرا من الاستنتاجات التي تدل على خاطر نقدي أصيل، وقام بتنظيم ما عرف من الآراء والأفكار قديما في النقد، ووضعها في أصول عامة نال النقد من خلالها جانبا غير قليل من العمق بسبب هذا الأثر الفكري الذي جعل منه ناقدا متميز الإحساس ٠ (١)

فمن حديثه عن **السرقات** وموقفه الرائع منها بتسميتها أخذا في كثير من الأحيان، ففي الوقت الذي كان البحث فيها مصحوبا بالنقمة والغيظ عند بعض النقاد تارة،أو كان محاولة لإثبات الناقد كفايته في ميدان الاطلاع تارة أخرى، أو للتأكيد على أن المعاني قد استنفدها القدماء وان المحدثين قد وقعوا في أزمة تحد من قدرتهم على الابتكار تارة ثالثة، رأيناه يتحدث عنها من حيث هي ظاهرة طبيعية لم تُهَيْجهُ إلى إثارتها خصومة أو غضاضة لبعض الشعراء، أو محاولة للنيل منهم، بل انطلق من موقفه عن اعتقاد راسخ بأن معاني الشعر، كالهواء والماء في أساس خلق هذا الكون فلا ضير على اللاحق أن يأخذ من ميراث السابق وإنما يجب التنبيه على هذا الأخذ والإشارة إليه ؛ لحفظ الحقوق، والإقرار بالسبق لأهله والاعتراف بالفضل لذويه (٢) ٠

ثم كانت رؤيته الثاقبة **للشاعر** حينما أقر بأن لقب الشاعر ليس لقبا هينا، يطلق على كل من قال شعرا، منكرا هذا الصنيع على من ألفوا كتابا مثل كتابه– الشعر والشعراء – وترجموا لمن لم تغلب عليهم صفة الشعر، مبينا الأسس التي بنى عليها اختياره لشعرائه، والعلة في اقتصاره على هؤلاء المشهورين لدى أهل الأدب دون غيرهم ٠

(١) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ا / طه أحمد إبراهيم صـ ١٢٣
(٢) ينظر قضايا النقد الأدبي عند العرب صـ ١٠٧

ثم موقفه المثالي من قضية **القدم والحداثة**، حينما رأى التعصب البغيض والرفض الممقوت، لكل شعر محدث، لأسباب غير واضحة، ومواقف غير معلومة فنبذ سبيل التعصب، وقاوم سلطان الهوى، وجعل العدل والإنصاف سبيلا لا لنفسه فحسب وإنما لكل حاكم ناقد، واضعا معيارا راسخا للمفاضلة بين الشعراء هو ما يخلعه المبدع على عمله الشعري من قيم فنية وتعبيرية ترقى به نحو الريادة والتفوق، مستمدا موقفه من باعث ديني قوي، إذ الجودة والبلاغة منحة من الله، وموهبة فطرية ركبها في طباع من يشاء من خلقه، معتمدا في موقفه على قوة الحجة وسلامة المنطق ووضوح البرهان، في إخلاص للبحث العلمي، دون ميل أو هوى أو جنوح نحو غاية فما يعد حديثا بالنسبة لجيل ما، سرعان ما يعد قديما بالنسبة لأجيال أخرى ٠

وكان أشد حزما، وأوضح حجة، وأعلى منطقا، وأبين تعبيرا، وأكثر إسهاباً في التعبير عن هذه القضية ؛ لأن الاعتدال عنده قد بسط ظله على نظرته عامة [1]

على إنه وإن وقف موقفا وسطا بين القدماء والمحدقين من حيث الجودة وبلاغة القول، ووجودهما عند هؤلاء وهؤلاء إلا أنه مال إلى القدماء من حيث طريقتهم ونهجهم في القصيد، وجارى كثيرا من العلماء في أن هذه الأصول القديمة يجب ألا تمس في جوهرها، وكنا نود منه تعليلا مستفيضا وبينا لالتزامه هذه الأصول ٠

ولما نظر في **الموروث الشعري** ووجد القصيدة معرضاً لتفنن الشاعر، فهو قد يفتتحها بالغزل أو بالوقوف على الأطلال ويتحدث عن مناحي فتوته من حب للصيد وركوب للخيل، وانتهاب للذات، ثم يمدح أو يعاتب أو يتحدث عن قضية من القضايا وكانت القصيدة تسمح بتعدد الموضوعات في داخلها. ولم يستطع النقاد أن يتنكروا لهذا الموروث، وهو

(١) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب صـ ١٠٧

واحد منهم ذهب إلى الأخذ بالوحدة النفسية عند المتلقي، أي قصد الشاعر إلى جذب انتباه السامع أولاً ليضعه في جو نفسي قابل لتلقي ما يجيء بعد ذلك وهذا لا يثبت للقصيدة نفسها وحدة، إذ قد يكون الموضوعان فيها متباعدين حتى في الجو النفسي العام لدى الشاعر. ولما أحس بان مثل هذا التعليل لا يحقق وحدة، وقف عند وحدة داخلية أخرى تتمثل في التكافؤ بين الألفاظ والمعاني، ثم في الترابط بين كل بيت وما يليه، فإذا فقد الترابط المعنوي جاء الشعر متكلفا، فأبان بذلك عن رأيه في هذا المنهج صراحة، وكشف عن موقفه منه، ملتمسا للشاعر القديم العذر في اتكائه على هذه البدايات وتعدد الموضوعات ٠

وإن كان البعض قد فهم من قوله (فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام) [1] إصراره على أن يظل هذا الشكل نظاما صارما لكل شاعر سواء أكان جاهليا أم إسلاميا، وأنه يحرم على المتأخرين التحلل من ربقة هذا النظام حجرا على المتأخرين في الالتزام بتقاليد القدماء، ولم يكن الأمر كذلك، وإنما أراد لمن يريد الاتباع فقط عليه الاعتماد على تلك الحقائق والثوابت والمعالم بشروطها وصفاتها كما وردت في نصوص القدماء ٠

إذ قد رأى في تقاليد القدماء حقائق ثابتة، وقيما أصيلة، ومبادئ عريقة فأراد التحذير من تشويه تلك الحقائق، وطمس تلك المبادئ ٠

وبعد أن كشف "ابن قتيبة" عن المنهج الغالب في تأليف القصيدة، أبان أيضا عن أن الشعراء ليسوا سواء في نظمهم، فمنهم من هو **متكلف** يعاود النظر في شعره صقلا وتنقيحا وتهذيبا حتى لا تتداوله الأسماع إلا بعد بلوغه قمة الجودة الدافعة إلى الثناء عليه، والإشادة به، ومنهم **المطبوع** الذي ترد إليه المعاني، وتتابع إليه الألفاظ في سهولة وتدفق، وعن فطرة وإسماح، لافتا الأنظار إلى ضرورة توفر الشاعر على قصيدته وتسخير

(١) الشعر والشعراء صـ ٢٨

قدراته الذهنية التي تعينه على طول التفتيش ومعاودة النظر ؛ لتحقيق القدر الأكبر من سلامة اللغة التي تظهر أوضح ما تظهر في فصاحة التعبير أو التركيب وسلامته، واستقصاء المعاني وترابطها، وترتيب بعضها على بعض ؛ لتحقيق التلاحم بين أجزاء العمل الشعري ٠

ثم تعرض لذكر عوامل **استدعاء الشعر ودوافع نظمه** مصنفا إياها إلى عوامل **نفسية** وأخرى **مادية** تقف وراءها قوة كامنة في النفس لها تأثيرها في التحكم في صوغ المعنى الشعري، كاشفا عما ينشط الغريزة وينميها، ويحركها بداخل الشاعر وضرورة إثارة هذه القوة قبل الصياغة بمؤثرات، كتأمل صور الطبيعة، وورود على الرياض الخضراء، والمياه الجارية، وصعود المرتفعات العالية المشرفة على الوديان والسهول، فيثير تلك القوة الكامنة في نفسه فيقبل على صوغ المعنى الذي يقصده ٠

مبينا في الوقت ذاته مدى **تأثير الزمن** في اكتمال عملية الإبداع الشعري واضعا أمام الشعراء منهجا زمنيا يظهر من خلاله مدى تأثير اختيار الزمن المناسب في مد قوة الغريزة بالقدرة على صوغ المعاني بما يلائمها من الألفاظ فحدد أوقاتا بعينها لها تأثيرها كأول الليل قبل تغشي الكرى، وصدر النهار قبل الغذاء، ويوم شرب الدواء، والخلوة والحبس، مرجعا دوافع نظم الشعر وقضية تأثير الزمن فيه، إلى الحالات النفسية والمزاج الشعري والحالات الجسدية، واختيار وقت من الأوقات المناسبة، فكان في هذا أدق فهماً للطبيعة الإنسانية. كما كانت له رؤيته في أن الشعراء يتفاوتون في ملكة الشعر تفاوتا كبيرا، وأن الينبوع الشعري عندهم يتفاوت غزارة ونضوبا ، باعتبار أن الطاقة الشعرية ليست سواء عندهم، والينبوع الشعري ليس واحدا، دون أن نسلم له بهذه الرؤية تسليما مطلقا ؛ لأن الشعر يعتمد على ركائز ودوافع لا بد من توفرها قبل نظمه، وهي التي تسوق الشاعر وتدفعه في كثير من الأحيان ٠

ومن القضايا التي أثارها ولم تؤخذ دورها على مسرح النقد العربي إلا في عصرنا الحديث قضية **الوحدة في القصيدة** ' حيث ذهب إلى الأخذ بمبدأ الوحدة النفسية عند المتلقي، أي قدرة الشاعر على جذب انتباه السامع أولاً ليضعه في جو نفسي قابل لتلقي ما يجيء بعد ذلك ؛ إيمانا منه بأن بناء القصيدة على هذه المقدمات إنما كانت تستدعيه الرغبة في لفت الانتباه، وإشراك السامعين في عاطفة الشاعر،على أن يظل مبنى القصيدة متناسب الأجزاء معتدل الأقسام فلا يطيل في قسم منها فيمل السامعين ولا يقطع وبالنفوس ظمأ إلى مزيد، مشيرا إلى وحدة داخلية تتمثل في التكافؤ بين الألفاظ والمعاني، أي أن تكون الألفاظ ذات مستوى تأليفي واحد، وأن يجيد الشاعر الربط بين كل بيت وما يليه، على ألا يكون هناك تفاوتا في شعر الشاعر بل يجب أن يكون على مستوى واحد في نسجه ونظمه، وأن تصاغ أجزاء القصيدة صياغة مترابطة ٠

كما رأى أن **للشعر دوافع** وأسباباً تؤهله لاختيار المتذوقين له وتعلقهم به وحفظه، منها : الإصابة في التشبيه، أو لأن صاحبه لم يقل غيره أو لنبل قائله وسموه أو لقرب معناه، أو لدقة تصويره، أو لجمال لغته، أو لخفة رويه، أو لطرافة معناه أو لأسباب أخرى خارجة عن نطاق الشعر، كأن يكون صاحبه مقلا، أو عظيما في مكانته أو موقعه الاجتماعي، غير أنه لم يبين لنا أمارات التشبيه المصيب ' ولم يحدثنا عن أسرار خفة الروي ؟ وما مقاييس هذه الخفة، أو شروطها، كما تبين لنا أن هذه أشياء لا تحدد جودة الشعر في الواقع، ولا دوافع اختياره وحفظه، وإنما تحدد أسباب الرواية أو عوامل الاستحسان لبعض صوره و ألوانه ٠

كما احتلت قضية **اللفظ والمعنى** عنده أهمية خاصة، جاعلا للشعر أربعة أضرب،لا تسمح العلاقة المنطقية- في نظره- بأكثر منها، موضحا أن ما يعزوه من حسن الألفاظ ليس إلا تكوينها الصوتي والموسيقي، وما يكون بينها من إيقاع حسن، أو من تلاؤم في المخارج والمطالع والمقاطع، مرتئيا أن هذا منفصل عن المعنى ومعتبرا أن الشعر لا يعد ذا معنى عنده إلا إذا

اشتمل على حكمة أو فكرة فلسفية أو معنى أخلاقي أما ما عدا هذا من مجرد التصوير لحالة نفسية أو التعبير عن موقف إنساني فلا يعد عنده معنى، لافتا أنظار الشعراء إلى ما قد يكون في أشعارهم من معان عادية ساذجة لا تهز السامعين ولا تتحرك لها مشاعرهم ٠

ولذا تصور لغة الشعر وارتبط مفهومها لديه بالنظرة المنطقية التي بدا من خلالها استقلال اللفظ عن المعنى، واستقلال المعنى عن اللفظ، قاصدا باللفظ الصياغة أو التعبير فحسب، مع أنه لم يبين لنا متى تكون الصياغة حسنة أو غير حسنة، معلقا جودة الشعر على مضمونه مستقلا عن الصياغة .

جعل للألفاظ دلالات مفردة أو مستقلة، دون أن يفطن إلى أن الألفاظ في الشعر ليست أنغاما ومخارج ومقاطع فحسب، وإنما هي تتجاوز بإشعاعاتها حدودها اللغوية العادية، وتكتسب من الكلمات التي تليها معاني جديدة ما كانت لتكون لولا السياق الذي جمعها، والبناء الذي انتظمها، كما لم يستطع أن يتخلص من سيطرة النظرة المنطقية الفلسفية على الشعر، أو يتجرد من سلطان العقل والنزعة التقريرية في تناوله للشعر وتحديد قيمته

وأخيرا كانت قضية **عيوب الشعر** والتي أبان من خلالها عن تعدد مناحيه فلم يقصر إحساسه النقدي على النواحي اللغوية والأسلوبية بل امتد إحساسه بالوزن الموسيقي وبالقافية باعتبارها آخر البيت تتسم بحركات واحدة تتردد في جميع الأبيات أو باعتبارها مقطعا صوتيا مكررا في أواخر الأبيات، فنبه من خلالها إلى اضطراب الوزن الناشئ عن اختلاف الإعراب فيها، وحصرها في العيوب المتصلة بها **كالإقواء والإكفاء، والسناد، والإيطاء، والإجازة**، وهو حصر يدل على سعة أفقه، إذ طالما عرض لعيوب النظم، وعيوب الصياغة، وعيوب المعنى وغيرها، وها هو ذا يعرض للعيوب المتعلقة بالقافية ٠

وهكذا تمرس "ابن قتيبة" بكثير من المشكلات النقدية التي كثر حولها الحديث في عصره، و بعد عصره، وكانت عنده أمور أخرى في النقد سوى حصر الشعر والشعراء، فقد تعرض لكثير من الآراء النقدية التي لا تتصل بشاعر بعينه، ولا عصر بعينه، فتعرض للخصومة بين المحدثين والقدماء، لا من ناحية المذهب الشعري بل من ناحية بلاغة القول وجودة الكلام ورداءته، وتحدث عن قضية اللفظ والمعنى قاصدا باللفظ التأليف والنظم والصياغة كلها بما تتضمنه من لفظ ووزن وروي وبالمعنى الفكرة التي يبين عنها البيت أو الأبيات، وتحدث عن الشاعر متكلفاً ومطبوعاً، وعن المؤثرات التي تفعل فعلها في نفسه، وعن علاقة الشاعرية بالأزمنة والأمكنة، وعن وتفاوت الشعراء في الطاقة الشعرية ٠

وبذلك كان من أوائل النقاد الذين لم يتهيبوا الوقوف عند القضايا النقدية الكبرى كما كان من أبرزهم التفاتا إلى العوامل النفسية ؛ واضعا استنتاجات تدل على حِسٍّ ذوقي ونقدي أصيل، وعلى رؤى نقدية قيمة كانت كفيلة بنقل النقد إلى مرحلة جديدة.

الخاتمة

* كان "ابن قتيبة" على وعي تام، ونظر ثاقب بالأفكار التي سيعرض لها في كتابه فأحكم أمر هذا الكتاب قبل أن يشرع فيه، وحدد موضوعاته التي سيتناولها، مبينا في الوقت نفسه أسباب هذا التناول، وما سيأتي عليه، وما سيغض الطرف عنه ٠

* لم يصنف الشعراء ولم يضعهم في طبقات كما فعل "ابن سلام " لأن ذلك يتطلب منه دراسة وافية لآثارهم، وهو أمر لم يدعيه، ولم يزعم أنه قصد إليه في كتابه

* قصد إلى ذكر المشهورين من الشعراء، الشاعر وزمنه، ومنزلته، وقبيلته وصلة شعره بحياته، والجيد من قوله، وما أخذ عليه العلماء من الخطأ، والمعنى الذي ابتدعه، والمعنى الذي أخذه من غيره، وهو تناول جديد لم يسبق إليه ٠

* اجتاز "ابن قتيبة" بكتابه هذا فكرة الاحتكام إلى الذوق الأدبي والاعتماد على الإحساس بأثر الشعر في النفس فحسب ؛ لأن هذا الذوق متقلب متحور، وهذا الإحساس لا يدوم، ومن ثم أصبحت هناك مقاييس يأتنس بها في المفاضلة، ومعايير يستند إليها في الحكم ٠

* بحث "ابن قتيبة" في النقد بروح العلم دقة وتحديدا وتنظيما لما عرف من الآراء والأفكار قديما، ووضعها في أصول عامة فوضع للمرة الأولى في نقد الشعر قواعد وضوابط عامة ٠

* كان من أوائل النقاد الذين لم يتهيبوا الوقوف عند القضايا النقدية الكبرى فتحدث عن قضية السرقات، وعن قضية اللفظ والمعنى، وعن التكلف والجودة وعن ضرورة التناسب بين الموضوعات في القصيدة الواحدة، وكان من أبرزهم التفاتا إلى العوامل النفسية ٠

أنصف "ابن قتيبة" الفن في ذاته، دون اعتبار للزمن فقرر أنه مع الجودة سواء تقدم الزمن بصاحبها أم تأخر، وضد الرداءة تقدم الزمن بصاحبها أم تأخر ٠

* كانت كلمة ابن قتيبة هذه أعلى صيحة زلزلت أقدام اللغويين والنحويين وأنصفت المحدثين في ذلك الحين، فقد حكم بين الشعرين لا بين العصرين ٠

* أفلح "ابن قتيبة" في وضع تصور لفلسفة تقاليد القصيدة العربية القديمة وقد ضمن هذا التصور بعض الحس الجمالي والنفسي والاجتماعي وكان أروع ما قدمه مناداته بأن يوازن الشاعر بين أساليبها وأقسامها، فلا يطيل في واحد ليحيف على الآخر

* حدد مذهبه في النقد، بهذا الحماس الفياض، وذلك المنطق القوي فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكره له، وأثنى عليه به، وأقر بمبدأ التطور، وأعلى من شأن التحرر، ورسم لمعاصريه طريق الاتزان النقدي ٠

* مال "ابن قتيبة" إلى القدماء من حيث طريقتهم ونهجهم في القصيد، وجارى كثيرا من العلماء واللغويين في أن هذه الأصول القديمة يجب ألا تمس في جوهرها فليس لشاعر أن يخرج على مذهب المتقدمين ٠

* التفت "ابن قتيبة" أيضا إلى العيوب الشكلية التي تعتري العلاقات الإعرابية والنغمات الموسيقية، والقوافي، إلى جانب عنايته بالصياغة والأسلوب ٠

* على الرغم من أن "ابن قتيبة" تبلورت لديه رؤى نقدية جديدة، وقواعد أولية لم يعهدها النقد من قبل، إلا أن النقد في القرن الثالث جاء قاصراً عن الوفاء بحاجة دارسي الأدب ؛ لاتساع الآفاق الجديدة، وضيق أفق النقد في الوقت الذي كان الشعر يشهد تغيراً كبيراً على يدي "أبي نواس" وأبي العتاهية" وأبي تمام" والعباس بن الأحنف" وغيرهم ممن سموا بالمحدثين .

والحمد لله أولا وآخرا

المصادر والمراجع

١- أخبار أبي تمام للصولي تحقيق ا/خليل عساكر المكتبة التجارية للطبع والنشر بيروت ١٩٣٧ م
٢- إشراقات من تراثنا الأنبي د / محمد كريم أحمد ، طبع مكتبة الرسالة القاهرة د / ت٠
٣- أصول النقد الأدبي د / أحمد الشايب - ط ٨ - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٣ م
٤ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تحقيق ا/ سمير جابر ط ٢دارالفكر العربي بيروت لبنان د / ت٠
٥- تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان المجلد الأول – طبع دار الحياة بيروت لبنان ١٩٨٣ م
٦- تاريخ الخلفاء تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق ا / محمد محي الدين عبد الحميد ط ١مطبعة السعادة مصر ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م ٠
٧- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ا /طه أحمد إبراهيم دار الحكمة بيروت لبنان د / ت ٠
٨ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري د / إحسان عباس ط ٢ دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٩٣ ٠
٩- التطور والتجديد في الشعر الأموي د / شوقي ضيف - ط ٤ دار المعارف د / ت ٠
١٠- الحيوان للجاحظ تحقيق ا / عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م
١٢ - ديوان أبي نواس تحقيق ا/أحمد عبد الحميد الغزالي دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٥٣ م
١٣- ديوان حاتم الطائي شرح وتقديم ١ / أحمد رشاد ط ١ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م ٠
١٥- ديوان الحطيئة شرح د / يوسف عيد ط ١ دار الجيل بيروت لبنان ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.
١٦- ديوان حميد بن ثور الهلالي تحقيق د/ محمد يوسف نجم ط ١ دارصادر بيروت لبنان ١٩٩٥م
١٧- ديوان الراعي النميري شرح د / واضح الصمد - ط ١ دار الجيل بيروت لبنان ١٩٦٥ م
١٨-ديوان طرفة بن العبد البكري شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري تحقيق د/ إحسان عباس ط ١ دار الفكر العربي بيروت لبنان ١٩٩٣م ٠
١٩- ديوان النابغة الذبياني تحقيق ا / محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٣ دار المعارف د / ت ٠
٢٠- السرقات الأدبية د / بدوي طبانة - نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت لبنان - ١٩٨٦ ٠

٢١-الشعر العربي في القرن الثاني الهجري د / محمد مصطفى هدارة ط ٢ المكتب الإسلامي بيروت لبنان د / ت ٠
٢٢-الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ٢ - ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م ٠
٢٣-العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد - طبع دار الطلائع للنشر والتوزيع د / ت ٠
٢٤-عيار الشعر لمحمد بن طبا طبا العلوي تحقيق د / طه الحاجري د / محمد زغلول سلام المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٦ ٠
٢٥-عيون الأخبار لابن قتيبة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥ م
٢٧- في النقد الأدبي عند العرب د / طاهر درويش طبع دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ م ٠
٢٨-قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د / محمد زكي العشماوي طبع دار المعرفة الجامعية د / ت٠
٢٩-قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم د / حسن البنداري مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩م
٣٠-المعلقات السبع للزوزني ت د / محمد عبد القادر أحمد مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٧ م
٣١-المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي تحقيق ا / أحمد شاكر وا / عبد السلام هارون ط ٧ طبع دار المعارف د / ت ٠
٣٢-الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحقيق ا/ السيد أحمد صقر دار المعارف ١٩٦٥ م
٣٣-موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨ م ٠
٣٤-الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني تحقيق ا / علي محمد البجاوي دار الفكر العربي د / ت ٠
٣٥-النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني تحقيق ا/عبد العزيز قلقيلة مكتبة الأنجلو المصرية د / ت ٠
٣٦-الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي عبد العزيز الجرجاني تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٩ ٠